وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي :
رقم التسجيل : M.AD/08/13

مذكر مكملة لنيل شهادة الماجستير في الادب العربي
تخصص: تحليل الخطاب وعلم النص

تداولية الخطاب الشعري في شعر عثمان لوصيف
ديوان « براءة » أنموذجا

إعداد الطالب :
ثامر عدنان

تاريخ المناقشة : 2017/02/20
أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة :

الرقم	الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
1	قويدر شنان	أستاذ محاضر (أ)	جامعة المسيلة	رئيسا
2	محمد زهار	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
3	محمد دلـــوم	أستاذ محاضر (أ)	جامعة المسيلة	ممتحنا
4	عبد الحكيم دهيمي	أستاذ محاضر (أ)	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية : 2017/2016

إهداء

إلى من تتسابق الكلمات لتخرج معبرة عن مكنون ذاتها ، إلى من علماني وعانا الصعاب

لأصل إلى ما أنا فيه ، وعندما تكسوني الهموم أسبح في بحر حنانهما ليخفف من آلامي

....أمي وأبي حفظهما الله .

إلى من كانت دعواتهم صدى في أذني ، ونظرتهم إلي تحمل الفرحة دائما أخواتي وأخوي .

إلى كل الأصدقاء بلا استثناء احتراما وتقديرا ....

عدنان ثامر

شكر وعرفان

أتقدم بالشكر الجزيل إلى أ. د زهار محمد الذي أبى إلا أن يكرمني بقبوله واستعداده للإشراف على هذا البحث ، وعلى مساندته لي معنويا وتشجيعاته لي فله مني كل الشكر والامتنان .

كما أتوجه بالشكر والعرفان لكل الأساتذة الذين درسوني في مرحلة ما بعد التدرج وأخص بالذكر :

- **أ. د جمال مجناح**
- **أ. د فتحي بوخالفة**
- **أ. د جمال حضري**
- **أ. د عباس بن يحي**
- **أ. د عبد المالك ضيف**

كما أرفع معاني الود والاحترام إلى أ . د علي دبي نائب مدير الجامعة على وقوفه معي في الفترة الأخيرة التي سبقت إنهاء البحث.

والشكر الموفور لكل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي بجامعة المسيلة.

إلى كل الزملاء والزميلات ، إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد ، وللآخرين أيضا الذين غابت أسماؤهم عني ، إلى كل هؤلاء الشكر والتقدير والاحترام .

عدنان ثامر

تسعى التداية باعتبارها علما جديدا للتواصل إلى تجاوز النظر إلى نصوص الخطاب على أنها مجرد دلالات لغوية ، من خلال النظر إليها بوصفها نشاطا لغويا يحاول فيه المتكلم أن يعّبر عن أغراض ومقاصد تهدف إلى تصوير مواقف شخصية واجتماعية والتأثير في المخاطب وإقناعه ، انطلاقا من أن اللغة ليست وسيلة للتواصل فقط ، وإنما هي كذلك أداة إنجازية تساهم في صنع أحداث واقعية ، تأثيرية وتوجيهية.

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الرسالة الموسومة بـ (**تداولية الخطاب الشعري في شعر عثمان لوصيف– ديوان " براءة " أنموذجا** –) قصد تحليل الخطاب الشعري وفق مقتضيات الدراسة التداولية ، واستغلال إمكاناتها التحليلية.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تسعى إلى دراسة الخطاب الشعري ، والكشف عن مضامينه ومقاصده من منظور تداولي ، وتتبع أبعاده التداولية من خلال دراسة أهم القضايا التداولية كالإشاريات والحجاج .

ويسعى البحث إلى الإجابة عن إشكالين رئيسيين هما :

– هل يستطيع التحليل التداولي بآلياته المختلفة أن يقف على مضامين الخطاب الشعري ، ويكشف عما يوحي به من معان ؟

– إلى أي مدى يمكن أن يسهم المنهج التداولي في فهم مقاصد الخطاب الشعري في ديوان " براءة " للشاعر لعثمان لوصيف ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات المطروحة في الإشكالية اتخذ البحث هيكلا تنظيميا يتكون من مدخل وثلاثة فصول ، حيث تناول المدخل قضية الشعر والتواصل للإحاطة بالموضوع انطلاقا من أن الشعر ليس بعيدا عن الاتصال فكل خطاب شعري يعني تواصلا بين المبدع والمتلقي .

أما الفصل الأول فقد خصصه الباحث لضبط أهم المصطلحات الأساسية في التداولية وتحليل الخطاب ، ورصد بعض الآليات الإجرائية التي أفرزتها اللسانيات التداولية.

في حين اهتم البحث في الفصل الثاني بدراسة الاشاريات في المدونة باعتبارها الدرجة الأولى من درجات التداولية .

أما الفصل الثالث فقد خُصّص للبحث في الحجاج باعتباره الدرجة الثانية من درجات التداولية ، والذي عنون بـ : البنية الحجاجية في ديوان براءة لعثمان لوصيف ، واهتم باستخراج بعض التقنيات الحجاجية اللغوية والبلاغية التي استخدمها الشاعر في نصوصه الشعرية من أجل إقناع مخاطبيه، ليختتم البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج المستخلصة من الدراسة.

والمنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التداولي والذي يحضر في البحث من خلال التركيز على أدوات التحليل التداولي ، لأن طبيعة الموضوع تفرض على البحث وصف الظواهر الكلامية في الخطاب الشعري، وإضافة إلى المنهج التداولي يحضر المنهج التاريخي الذي تتبع مسار النظرية التداولية ونشأتها .

وقد اعتمدت الدراسة في هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع المختلفة أهمها ديوان " براءة " للشاعر الجزائري عثمان لوصيف ، وكتاب آفاق جديدة في البحث اللغوي لمحمود أحمد نحلة ، وكتاب التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي ، وكتاب استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – لعبد الهادي بن ظافر الشهري ، وكتاب في اللسانيات التداولية – مقاربة بين التداولية والشعر – دراسة تطبيقية ، لخليفة بوجادي وكتاب لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب لـ حمو الحاج ذهبية ، كما استفاد البحث من بعض الخلاصات التي احتوتها بعض المؤلفات الأجنبية والتي قرّبت الشقة بين البحث والمنهج التداولي .

وقد واجه الباحث عدّة صعوبات عند محاولته الاقتراب من الأبعاد التداولية في الخطاب الشعري في ديوان " براءة " لعثمان لوصيف منها عسر المتن في نصوص المدونة التي يندرج أغلبها ضمن الخطاب الصوفي فخشي الباحث أن يضيع في تأويل هذا النوع من الخطابات.

كما اعترضت الباحث عدّة صعوبات أخرى منها :

قلة المراجع المتخصصة في هذا النوع من الدراسات بسبب حداثة الموضوع ، وصعوبات تتصل بالمنهج التداولي الذي يعتبر منهجا شديد الثراء والتنوع ، ولا يمكن تحصيل فكرة

شاملة عنه نظرا لتعدّد التيارات التنظيمية لهذا المنهج من أعلام أسسوا له فلسفيا وباحثين أجروه تطبيقيا.

ولا يسعنا في الختام إلا أن نتقدّم بخالص عبارات الشكر والتقدير للأستاذ المشرف : **البروفسور محمد زهار** الذي كان له الدور الفعّال في تذليل الصعوبات وإتمام هذا العمل فقد كان خير ناصح وموجه .

وفي الأخير نأمل أن يكون البحث قد حقّق بعض الأهداف المسطرة.

يعتبر التواصل من بين المفاهيم المتداولة في الدرس اللساني المعاصر و التي اتخذت من النص والخطاب أداة للتبادل اللغوي ، وقد ارتبط هذا المفهوم بكل حوار متبادل بين متكلم ينتج ملفوظا يوجهه إلى مخاطب يُتوخى منه الاستماع أو الإجابة الصريحة أو الضمنية بحسب طبيعة الملفوظ.

فالتواصل إذن يقوم بين طرفين ، وقد حدّد العلماء عملية التواصل وبيّنوا عناصرها واعتمدوا في وصف هذه العملية على الوظيفة الأساسية للغة التي تضمنتها تعريفاتهم لها

واللغة عندما تؤدي وظيفة التواصل وبصفتها نظام تنظّمها علاقات سياقية وعلاقات ترابط ، وهذه العلاقات هي التي تحكم اللغة بوصفها نظاما داخليا مجتمعيا ، أما العلاقات السياقية الميتالغوية فهي تساهم بشكل واضح ولها أهمية بالغة في التواصل بين المتكلمين فيما بينهم.

وقد وضّح دي سوسير(Ferdinand desaussre)هذا الأمر من خلال عملية الربط بين العملية الفردية (الكلام) والظاهرة الاجتماعية (اللغة).« فالكلام يعتبر الرابط أو القاسم المشترك بين الأشخاص الذين يتّصلون ببعضهم في بيئة لغوية واحدة فهم يستعملون الدلائل نفسها مقرونة بالمتصورات نفسها »[1] من هنا تظهر أهمية عملية التواصل في الخطاب فهي ترتبط بالسياق والعلاقات التداولية التي يتحقق بمجموعها الاتصال اللغوي بين المتكلمين .

والتواصل اللغوي لا يهدف إلى الإخبار فقط وإنما يتعدى ذلك غلى التأثير والإغراء وهذا ما جعل العملية التواصلية تتصف بالتعقيد وتستلزم التحليل والدراسة والبحث.

هذا ويتأسس التواصل انطلاقا من طبيعة الحديث أو الخطاب الذي ينتجه المتكلمون فهناك الخطاب الديني والسياسي والأدبي والإشهاري .

والخطاب الأدبي خطاب غير عادي لغته فنية على عكس الكلام أو الخطاب العادي الذي تحكمه لغة التواصل اليومي بين الأفراد ، ويندرج الشعر ضمن الخطاب الفني فلغته راقية وحافلة بالمعاني ومعارج الدلالة لما تحمله الكلمات الشعرية من قيم في ذاتها وفي بُناها وتعالقها في مجموع الجهاز الشعري.

[1] DESSAUSSURE,ferdinand,cours de linguistique générale,DalilaMorsly,E,N,R,G,éditions,Alger1990p34

والحديث عن الشعر والتواصل يستدعي منا أن نحيط بماهية الشعر إحاطة تضمن للقارئ الإطلاع على الشعر في مجاله المفهومي ، والأمر ليس يسيرا حين نتحدّث عن الإحاطة بمفهوم الشعر ، فقد عُرض الكثير عن الشعر في الحضارات القديمة والكتابة الحديثة لكنّها لم تحط بماهية الشعر ولا بحقيقته.« فقد تناوله الفلاسفة اليونان من جوانب عديدة :ماهيته، شكله ، علاقته بالواقع ، بالفلسفة ، والأخلاق وقد عرف الفلاسفة المسلمون والنقاد العرب كثيرا من هذه المباحث كما أخذوا عن اليونان آراءهم وأقاويلهم »[1].

لقد حصر بعض النقاد العرب مفهوم الشعر في التخيل الذي يستميل السامع ويؤثر فيه وانطلاقا من هذا ارتبط مفهوم الشعر بما يحدثه في نفوس متلقيه أكثر ممّا يرتبط بجوانب أخرى كالشكل مثلا والموضوع فهي تبدو أقل تركيزا من فعل الشعر وتأثيره.

والقول بأن مفهوم الشعر يرتبط بالتأثير في نفس المتلقي يفتح الفضاء أمام عوالم الشعر ويتّسع لكل التّحولات الموضوعاتية والشكلية خاصة التي عرفها الشعر على مرّ العصور واختلاف التجارب ،لأن التأثير الذي يحدثه الشعر في السامع يجعله يقبل بكلّ التّحولات التي تطرأ على الحركة الشعرية « ولا مسوغ حينها للحديث عن قصيدة تفعيلة أو النثر أو العمود إذ يصير الأصل و المعيار هو تفعّل هذه الأشكال الأدبية المختلفة الشعر بما تحدثه في نفوس متلقيها »[2] إلا أن هذا القول الذي يجزم بوجود التأثير في القراء لمختلف النصوص الشعرية رغم تغير شكل القصيدة العربية وتطورها يدفعنا إلى الحديث عن ظاهرة الغموض التي قلّلت من تأثير الشعر في نفوس القراء لصعوبة فهم المحتوى المطلوب وقد مسّت الشعر الحديث خاصة بالرغم أنها ليست وليدة هذا العصر فقد لازم الغموض الشعر منذ زمن طويل لكنه كان جزئيا ومحدودا ، أما في الشعر الحديث فهي تكاد تكون مصاحبة له وقد اخفت جوهره ، وزادت الفجوة التي تفصل كثيرا من النصوص الشعرية وجمهور القراء .

وتبدو هذه الظاهرة جلية في أمور كثيرة منها :

---

[1] – خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية ،مقاربة بين التداولية والشعر دراسة تطبيقية، بيت الحكمة ، الجزائر ،ط1، 2012، ص11.

[2] خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية ،مقاربة بين التداولية والشعر دراسة تطبيقية ، ص 12.

الغموض الدلالي ، استحالة الصورة الفنية ، غموض الرمز . والظاهر أنّ هذا الغموض الذي يصحب النصوص الشعرية يعود في الأساس إلى لغة الشعر التي تعتمد على الإشارة في أغلب الأحيان عكس لغة النثر التي هي لغة إيضاح ، لأن اللغة الشعرية هي الانزياح على لغة النثر فغالبا ما تعتمد عبارات ليست شائعة وغير مستهلكة لذلك يعتبر الشعر خروجا عن اللغة العادية فهو يهدمها ويعيد بناءها من جديد أي أنّ الشعر« نشاط لغوي ينهض على إعادة النظر في النظام اللغوي والإمساك بما يتضمّنه من قوانين توليدية تسمح بتمزيق ذلك النّظام اللغوي المتعارف نفسه قصد خلق ذرى تعبيرية جديدة »[1] فلغة الشعر تعلو عن اللغة العادية وهي تزخر بأكثر ممّا تعنيه وتشير إلى أكثر ممّا تقول . فالشاعر يمنح اللغة مساحة أكثر وأوسع من دلالتها المعجمية لأنّ الألفاظ في لغة الشعر لا تتطابق مع دلالتها إنما تحلق دلالتها بعيدا عن المعنى الأوّل للسّياق فهي تخرج عن المعنى الواضح والمعلوم لتتجاوزه إلى معان أخرى لم تتعوّد الغوص فيها عكس اللغة العادية التي لا تتجاوز المعنى المعجمي ، فالشاعر إذا أراد أن يواجه الحقيقة في شيء ما فعليه أن يستعين بلغة تحيد عن معناها العادي يستعمل فيها عدّة وسائل من صور وخيال وعاطفة هذه الأخيرة تتضافر لتكوّن نسيجا شعريا متميّزا.

إنّ كل لغة هي لغة تواصل ، واللغة الشعرية عليها أن تحافظ على أسباب التواصل مع المتلقين بمقدار ما تحتويه من مخالفة للغة العادية.ويجب أن يكون هناك اتفاق بين الشاعر وقرائه لأنّ الشاعر إذا تجاهل من يقرأ ما يكتبه من شعر سيؤول به الأمر إلى القطيعة مع قرائه ولن تكون لغته وسيلة اتصال.

والاختلاف في اللغة الذي يظهر في نصوص الشعر المعاصر له غاية تجديدية الغرض منها « تحقيق التواصل مع المتلقي من خلال الاقتراب من لغته المعاصـرة حيث أن المـفروض في أي تعبـير فني أن يكون أداة توصيل من المبدع إلى المتلقي »[2] إذ لابد

---

[1] عبد الرحمن تبرماسين :اللغة الشعرية في رواية ذاكرة الجسد،من الموقع الإلكتروني:
univ-biskra.dz/lab/Labreception/images/.../doc.../dakiret_el-jassed.pdf

[1] عبد الغني حسني : التواصل ولغة الشعر ، من الموقع الإلكتروني :

للشاعر أن يساير العصر الذي يعيش فيه فيغيّر في كتاباته من حيث اللغة التي يصبغ بها نصوصه من أجل توصيل محتوى رسالته التي يطمح أن يطّلع عليها المتلقي ويفهمها ، غير أنّ جزءا كبيرا من الشعر المعاصر عمد فيه بعض الشعراء إلى العدول المتعمّد عن الوضوح إلى الغموض الذي يؤدي إلى القطيعة مع المتلقي.

ومن جانب آخر يمكن أن يكون هذا النزوح نحو الغموض متعمّدا أو مجرّد رغبة من الشعراء في إرضاء ذواتهم عن طريق إغاضة متلقي الشعر بوضعه في إطار من الطلاسم التي لا تساعد على الفهم .كذلك لا يمكن إنكار مذهب بعض الشعراء الذين تبنوا الغموض وجعلوه مذهبا ورأوا في القطيعة مع الجمهور معيارا للإبداع واستندوا في مذهبهم هذا على أنّ اللغة الشعرية تمثّل انحرافا عن لغة النثر، وأكّدوا أنه بمقدار ما يكون الانحراف في لغة النص الشعري أوسع يكون النص أكثر شعرية ، وبمقدار ما يقلّ الانحراف يبتعد النص عن الشعر، والانحراف هو بمثابة التحرر من سلطة معيارية اللغة ، وبقدر ما يكون التّحرر غير معترف بالحدود تسير لغة الشعر نحو الإبداع والشعرية.

إنّ هؤلاء الشعراء لم يركّزوا على مدى مقبولية نصوصهم الشّعرية عند جمهور القرّاء بقدر ما حاولوا إعطاء اللغة الشعرية ميزة تُكسبها الإبداع رغم غموضها.وهناك من النّقاد من اعتبر الغموض صفة من صفات الشّعر الجيّد وفرّقوا بينه وبين الإبهام حيث أنّ هذا الأخير صفة نحوية ترتبط بتركيب الجملة في حين يُعتبر الغموض صفة تنشأ قبل مرحلة التّعبير. «فالغموض خاصية في طبيعة التفكير الشعري وليس خاصية في طبيعة التعبير الشعري »[1] فعادة ما يلجأ الشاعر إلى عدم استخدام اللفظ المعتاد بدلالته المحدودة ، كما لا يستخدم الألفاظ المقصودة في حياتنا اليومية وبالتالي يفقد الرابطة التي تصله بالقارئ خاصة إذا بالغ في إعطاء شحنات لألفاظه وحمّلها طاقات إضافية ناتجة عن طبيعة التفكير الشعري لأنّ

---

http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=24263

[1]– فاروق مغربي : الأسس النقدية في كتاب الشعر العربي المعاصر / قضاياه وظواهره الفنية للدكتور عز الدين إسماعيل ، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها ، ع 7 ، 2001 م ، ص 108

هذا يؤدي إلى تعدد مستويات النص ويجعل الكلمات تنزاح عن معجميتها وحينها يكون الغموض.

« والشاعر إذا أتى بلفظة غريبة أتبعها أخواتها ، وكذلك إذا سهّل ألفاظه لم يخلط بها الألفاظ الوحشية النافرة الصعبة القيادة ويقف في مراتب القول والوصف في فن بعد فن ، ويعتمد الصدق والوفق في تشبيهاته وحكاياته »[1] فاستعمال الشعراء لألفاظ غريبة في قصائدهم يأتي بشكل متسلسل على حدّ رأي صاحب عيار الشعر ، أي أن توظيف الشاعر لمفردة غريبة يتبعه حقل معجمي لألفاظ غريبة أخرى فيغدو النص كلّه غموضا نتيجة توظيف ألفاظ غريبة وصعبة وغير مفهومة.

إن لغة الشعر لغة أخرى ليست هي لغة الكلام اليومي المستهلك ، ولكنها لغة الكشف التي تعطي للكلمات غنى جديدا أعمق من الكلام العادي ، ولهذا تميّز الشعر بالانفجار اللغوي الذي فسره البعض بالغموض ، واتجه الكثير من العارفين إلى التصدي لهذا الغموض بالبحث والتحري عنه ، ولعل الصورة الشعرية التي تضمنتها الكثير من قصائد الشعر العربي المعاصر والتي اتخذت من اللغة أداة لها في التكوين والكشف هي التي جعلت لغة الشعر تتصف بالخيال لكونها شاعرية وليست مجردة ، وهي التي فجرت قضية الغموض أيضا وجعلتها خاصية من خواص التفكير الشعري. « والشعر ظاهرة لغوية في وجودها ولا سبيل إلى التأتي إليها إلا من جهة اللغة التي تتمثل بها عبقرية الإنسان وتقوم بها ماهية الشعر، أي أن الشعر فعالية لغوية في المقام الأول فهو فن أداته الكلمة »[2] لذلك نرى إبداع الشعراء ظاهرا في لغتهم التي يكتبون بها ، وسر سحر القصائد يكمن في اللغة التي هي جوهر الشعرية ، وكلام الشاعر هو الذي يبرز تجربته ويخرج عواطفه وأحاسيسه ، و هو الذي يعبر عن معرفته تعبيرا جماليا . لذلك اكتسب الشعر تلك الصبغة الجمالية ضمن بنية لغوية

---

[2] – ابن طباطبا : عيار الشعر ، تحقيق عباس عبد الساتر ، مراجعة نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 1982، ص 12.

[1] محمد عبدو فلفل : في التشكيل اللغوي للشعر ، مقاربات في النظرية والتطبيق ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ،ط 1 ، 2013 م ، ص 14.

معرفية ، وما يتم من تحليل لبنية اللغة الشعرية ودراستها هو الذي يساعد على الكشف عن المواطن الجمالية من خلال عملية الربط بين اللغة ورؤيا الشاعر . لأن اللغة في الشعر ليست وسيلة للتعبير المباشر هدفها إيصال مقولات وتوضيحها بقدر ما هي غاية فنية لذا يغدو الخطاب الأدبي والشعري خاصة خطابا متحولا بلغته مغايرا للخطاب العادي ، لأن البعد اللغوي في الشعر يجعل من اللغة الشعرية لغة مختلفة كل الاختلاف عن لغة الخطاب العادي وذلك بدعوى الحاجة الفنية إلى التوسع في بنية اللغة الشعرية ، لكن التمادي في الغموض والبعد عن اللغة العادية يؤثر على التواصل بين المبدع والمتلقي في بعض الأحيان.

إن الشعر هو أحد الفنون الإنسانية الراقية التي تركت الكثير من الآراء الملموسة في الحياة على جميع مستوياتها : الفردية والاجتماعية والسياسية ، وآراء الشعراء في فنهم تظهر جليا في شعرهم وهي تختلف باختلاف الشعراء أنفسهم لأن منهم من ولج إلى متاهات الشعر السحرية الغامضة وعانى في نظم القصائد وبنائها بناء محكما ، وآراء الشعراء هي التي تجسد صعوبة البناء ، لأن ما يصبو إليه هؤلاء الشعراء لا يظهر غالبا إلا في أشتات متفرقة نجدها في مقدمات دواوينهم وربما في دراسات قام بها الباحثون ، أو مقابلات صحفية أجراها بعض الإعلاميون مع هؤلاء الشعراء.

والشعر في نظر معظم الشعراء يعبر عن لحظات ومحطات في حياتهم ، وهو بالنسبة للمتلقي كلام جميل محسوس يجد ذاته فيه « في حين نرى أن هناك أشعارا تعبر عن لحظات في حياتنا في أحيان معينة ولا تعبر عنها في أحيان أخرى وذلك بحسب اختلاف أحوال الحياة لأن الشعر رفيق الروح الإنسانية في فرحها وترحها في أعراسها ومآتمها من مهدها إلى لحدها »[1] فكأن الشاعر هو من ينوب عن قومه ويمثلهم إعلاميا فيصور أفراحهم

[1] علي بن عتيق بن علي المالكي : مفهوم الشعر عند غازي القصيبي ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في النقد الأدبي ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 2004 م ، ص 34.

وأحزانهم ، وهذا ما جعل الشعر هو فن العربية الأول بلا منازع ، والجميع يكاد يتفق على أنه أحد الفنون الإنسانية الراقية التي تترك آثارا في الحياة.

لقد ارتبط تحديد مفهوم الشعر بتصورات محددة بالماهية والأداة من خلال بعض المحاولات التمهيدية في النقد الأدبي التي حاولت التأسيس لمفهوم الشعر، وفي الحديث عن تكامل مفهوم الشعر يقرر الناقد جابر عصفور في كتابه "مفهوم الشعر" أن « كتاب المنهاج لحازم القرطاجني يمثل أنضج محاولة لصياغة مفهوم متكامل للشعر ، في حين يشكّل كتابا عيار الشعر لابن طباطبا العلوي ، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر مرحلة تشكيل المفهوم »[1] إن هذه الكتب الثلاثة تدور كلها حول مفهوم الشعر « وهي تمثل محاولات أصيلة لتحديد الأصول النظرية لمفهوم الشعر ، وهي في الوقت نفسه تحاور المحاولات السابقة والمعاصرة فتفيد منها بقدر ما تضيف إليها وتتجاوز في إضافتها وطموحها كل محاولات التأصيل التي نعرفها »[2] لقد مثل هؤلاء النقاد مرحلة النضج في صياغة مفهوم متكامل للشعر ، كما ربطوا الشعر بالتأمل وحاولوا أن يجعلوا من النص الشعري مجالا للتأمل، يقول "حازم القرطاجني " (ت684 هـ) في تعريفه للشعر « الشعر كلام موزون مقفى من شأنه آن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها ن ويكره إليها ما قصد تكرهيه لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه »[3] لقد ركز صاحب المنهاج في تعريفه للشعر على الأداة التي يوظفها الشاعر وهي اللغة من أجل تمييزه عن باقي الفنون ، فالشعر يعتمد على حسن هيئة تأليف الكلام مع معيار القيمة في صدق المعنى من أجل تحبيب المعنى الذي يراد تحبيبه أو النفور منه ، والشعر يستخدم

---

[1] مصطفى العرافي : بلاغة النص الشعري ، مقاربة تداولية حجاجية لبلاغة حازم ، دار الراية للنشر والتوزيع ، عمان ، ط 1 ، 2014 م ، ص 79.

[2] جابر عصفور : مفهوم الشعر ، دراسة في التراث النقدي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر، ط 5 ، 1995م ، ص 11.

[3] أبو الحسن حازم القرطاجني :منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن خوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 3 ن 1986 م ، ص 71

اللغة استخداما خاصا يتجاوز التبليغ إلى التأثير مما يجعل منه فنا متميزا على مستوى التشكيل والتأثير .

إن ما يمكن ملاحظته في تحديد حازم لمفهوم الشعر هو مزجه بين المنحى الشعري والمنحى الخطابي « إذ بالرغم من عناية حازم في تحديده للشعر بالمقومات الدلالية واللفظية والوزنية والتغريبية التي تمثل جانب الخصوصية الشعرية في التراث النقدي العربي ، فإن الغاية في النهاية هي تزيين الشيء أو تقبيحه من أجل الإقبال عليه أو النفور منه وهذا المسعى هو مسعى خطابي » [1] فكأن النصوص الشعرية تتفاعل مع متلقيها وتصدر أوامرا إما بفعل الشيء أو الكف عنه ، فالشعر يضغط على حساسية المتلقي ويدفعه إلى الاستجابة للمضمون الذي تفرضه القصيدة.

لقد اعتبر حازم (ت684 هـ) التخييل صفة أساسية في الشعر وأحد مقوماته لما يحمله من استجابة لدى متلقي الشعر تجعله يقوّم الصورة في خياله وينفعل لتخييلها، والتخييل في الشعر يقدم أمورا لها علاقة بالأغراض الإنسانية والتي بدورها تؤثر في المتلقي وتدفعه إلى الاستجابة للمقاصد التي يضمّنها الشاعر في نصوصه . فالمضمون الشعري ليس مسموعا فقط وإنما يحيل على المعاني المتصلة بالجانب الإنساني والتي لها دور تأثيري ، وهو أمر لا يمكن تحقيقه باللغة العادية أو الدلالية .

ويرى ابن طباطبا العلوي (ت322هـ) أن الشاعر « يعد لكل معنى ما يليق به ولكل طبقة ما يشاكلها حتى تكون الاستفادة من قوله في وضعه الكلام مواضعه أكثر من الاستفادة من قوله في تحسين نسجه وإبداع نظمه » [2] فهو واع تمام الوعي بأهمية الشعر وما تحمله رسالة الشاعر من استفادة تأثيرية توجيهية في الحياة « لقد حاول ابن طباطبا العلوي أن يؤسس عيارا للشعر يرتبط بتصورات محددة عن المهمة والماهية والأداة ، وحاول مساعدة المتذوق على إدراك الأصول النظرية لمفهوم الشعر ، وبذلك طرح قضية مفهوم الشعر طرحا

---

[4] مصطفى العرافي : بلاغة النص الشعري ، مقاربة تداولية حجاجية لبلاغة حازم ، ص 82.

[1] ابن طباطبا العلوي : عيار الشعر ، تحقيق عباس عبد الساتر، ص ، 12.

متميزا تجاوبت فيه خبرته كشاعر مع ثقافته كناقد مع وعيه بأهمية الشعر ودوره في حياة الفرد والجماعة »[1] فاهتمامه بتحديد أدوات الشعر وكيفية صناعته أراد أن يصل من خلاله إلى الغاية من الشعر وما يقترن بها من تحديد لأهمية الشعر وأثره في النفوس ، فماهية الشعر تنشأ عن فاعلية المخيلة عند المبدع ويحدث تأثيره (الشعر) بتحريك قوة المخيلة عند المتلقي ، فهو مهارة نوعية لها غرض ترك آثار معينة في القراء وهذه المهارة تنشأ بعد تحضير واستعداد خاص يصحبها، وتستلزم أدوات معينة ومخصوصة وتتطلب ممارسة وقواعد محددة ترتبط بكيفية الإنجاز والتي بدورها تتضافر مع قوة النفس الفاعلة للشاعر ، وهذه الأدوات هي الواسطة بين الفاعل (الشاعر) والمنفعل (المتلقي) في وصول أثر الأول إلى الثاني . وتصبح الأداة الشعرية واسطة ناجحة بين المبدع والمتلقي فتقوم بتوصيل المعنى الشعري على أحسن وجه ، ومن هنا كان لزاما توفر الصلة الوثيقة بين المعاني والألفاظ وضرورة صياغة المعاني صياغة مؤثرة .« ولقد ركز ابن طباطبا على توضيح عمليتين جوهريتين في التواصل الأدبي وهما: عملية النظم و إنتاج الشعر وعملية الفهم أي عملية تلقي الشعر ، وهما عمليتان متقابلتان ومتكاملتان في آن واحد »[2] إن ربط الشعر بعملية التواصل الأدبي من خلال العلاقة التي تجمع النص الشعري بمنتجه (الشاعر) وعملية الإنتاج الشعري وشروطها من جهة ، وربط الشعر بالقارئ (الناقد) وضرورة العناية بالنص الشعري نفسه في علاقته بالمقام ومستلزماته من جهة أخرى يحمل على القول بأهمية التصور التواصلي للشعر الذي قدمه ابن طباطبا (ت322هـ) من خلال تركيزه على الشروط التي ينبغي على منتج الشعر أن يعمل بها ، والتي تستلزم ضرورة ربط النص الشعري بالقارئ أي متلقي الشعر والمقام . وقد بيّن أن الحكم على الشعر يرد على الفهم أي فهم المتلقي لأن الأشعار مبنية على الفهم والمتلقي هو الذي ينظر فيها ويصدر حكمه بقبولها أو نفيها .

---

[2] جابر عصفور : مفهوم الشعر ، دراسة في التراث النقدي ، ص 11.

[1] عبد الجليل هنوش : ابن طباطبا والتصور التداولي للشعر ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ، ع 21 ،2001 م ، ص 15.

ويتحقق تأثير الشعر في المستمع من خلال تركيز الشاعر على المقام الذي ينتج فيه شعره ، والشاعر لا يُطلب منه العناية بالشعر إبداعا فحسب ، وإنما يجب عليه أيضا أن يراعي التوفيق بين ما يقوله من شعر ومقتضيات المقام لأن الشعر بمقدار ما يخضع لشروط جمالية ينبغي أن تتوفر فيه شروط اجتماعية تداولية تقتضي صورا من السلوك القولي حسب المقامات التي أُنتج فيها ، فالشاعر يحسن إختيار الألفاظ والعبارات المناسبة ويربطها بملاءمة القول للمقام ، فيخاطب كل طبقة بما يشاكلها ، ويستعمل لكل معنى يريد أن يكتب فيه ما يليق به. لأن سوء اختيار الألفاظ المناسبة للمقام يوقع الشعر في عيوب تداولية تواصلية ، ومن بين الشروط الاجتماعية التي ينبغي للشعر أن يتوفر عليها إضافة إلى مبدأ الملاءمة ، ضرورة حضور مبدأ التأدب الذي له علاقة بمقام المتخاطبين ويجب على الشاعر أن يبتعد عن كل ما يخالف المقتضيات التداولية للمقام ، ويجب عليه أن يعتني عناية خاصة بشعره وألا يضمنه عبارات أو معاني لا تلقى القبول عند السامعين « فمبدأ التأدب مبدأ عملي سلوكي يوجه القول الشعري ، وهو مبدأ توجيهي يفرض على الشاعر اختيارات أسلوبية معيّنة ، وبهذا يتبيّن أن الشروط التداولية للقول مقدّمة على الشروط الجمالية فكثيرا ما يقتضي الأمر التصرف في الثانية لتوافق الأولى »[1] فنجاح القول الشعري يقتضي مراعاة مبدأ التأدب أكثر من الجمالية ، لأن التأدب له صلة بنفسية المخاطب ومراعاة هذا المبدأ هو الذي يبلغ الشاعر غرضه في التأثير في المخاطب . لقد أضاف ابن طباطبا إلى مفهوم الشعر شروطا تداولية إلى جانب الشروط الجمالية من إتقان للتعبير وإبداع في الصنعة وقدمها عليها لأنها ترتبط بالتواصل ، ونجاحه لا يتم إلا بالاستجابة لهذه الشروط التي هي في الأصل قوانين تداولية ، وهي تنحصر في (التعاون ، الملاءمة ، اللياقة) وهذه الشروط تسمو بالتواصل العادي ، ولذلك وجب على الشاعر أن يضمنها في أشعاره حتى يسمو القول الشعري الذي يطلب في أصله الكمال والجمال. ويرى قدامة بن جعفر أن الشعر « هو القول الموزون الدال على معنى »[2] ومعنى هذا أن الشعر يجب أن

[1] المرجع السابق ، ص 66.

يتوفر على النظم الوزني إضافة إلى أنه قول دال على معنى ، وإذا انعدم المعنى الشعري سيغدو الشعر مجرد نظم بلا قيمة ، ولهذا لا يكون الكلام الموزون شعرا إلا بالنظر إلى مستويين هما : المكونات الشكلية للشعر و المعنى . والشعر يعتبر واسطة بين الشاعر والمتلقي واللذان بدورهما يمثلان المتكلم والمستمع ، والنص الشعري يعتبر خطابا فيه تفاعل وتحاور من أجل التواصل ، والشاعر يتوجب عليه أن يعرف من يتّجه إليه الكلام ، وعليه ان يختار العلامات اللغوية التي تحقق له منفعته في إيصال رسالته إلى المتلقي والذي بدوره سيفهم محتواها وحينها يتحقق التواصل . « وينبغي لمن كان قوله للشعر تكسبا لا تأدبا أن يحمل إلى كل سوق ما ينفق فيها ويخاطب كل مقصود بالشعر على مقدار فهمه ، فإنه ربما قيل الشعر الجيد فيمن لا يفهمه فلا يحسن موقعه منه ، وربما قيل الشعر الداعر لهذه الطبقة فكثرت فائدة قائله لفهمهم إياه »[1] فالشاعر يكون مرسلا ناجحا إذا استطاع أن يتبع طريقة منظمة في كلامه ، ونجاحه في التواصل مع المتلقي مرهون بإدراك السياق الذي يجري فيه التواصل ومعرفة أبعاده المؤثرة ، بالإضافة إلى قدرته على تحديد العلاقة بين السياق والكلمات التي يستعملها. غير أن اللغة الشعرية تبقى متميزة لها ملامحها وقواعدها الخاصة ، ويمكن تمييزها عن اللغة العادية نظرا لما تحمله من خصائص فنية وأسلوبية تختلف عن لغة التواصل اليومي العادية التي تكون خالية من إرادة المتكلم في التعبير بأساليب غير مألوفة. وما يمكن تسجيله حول اللغة الشعرية هو ارتباطها بصاحبها رغم ما تحمله من خصائص مشتركة ، فلا يمكن أن ننسب نصا شعريا إلى شاعر آخر حتى وإن كانت مجالات الاشتراك بينهما كثيرة.

والشعر يشارك في إحداث التواصل « لأن كل عمل شعري يعني تواصلا بين المبدع والمتلقي ، والتواصل يبدأ بتوصيل رسالة من نوع خاص ذات محتوى متصل بالقيم »[2] فالتواصل يظهر عندما يتأثر المتلقي برسالة الشاعر وما يقوم به من سلوكات ينتج عنها

---

[1] قدامة بن جعفر : نقد النثر ، تحقيق عبد الحميد العبادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان 1982، ص 63.

[2] جابر عصفور : مفهوم الشعر ، دراسة في التراث النقدي ، ص ، ص 232.

تواصل بين طرفين ، لأن الشاعر لا يكتب دون أن يوجه كلامه إلى متلق أو قارئ معين حتى وإن كان افتراضيا ، وهذا ما يجسد التواصل الذي يقوم عليه الشعر.إضافة إلى هذا ما يحمله الشعر من إثارة شعرية في نفس المتلقي والتي بسببها يحصل الامتاع في نفس السامع وتجعله يتجاوب ويتفق مع الخطاب الشعري ، ويفهم غرض الشاعر وقصده نحو السامع « وقد يكون الشعر أبعد عن مبدأ المنفعة ، ولكن بالنظر إلى المبدأ العام للتواصل ينبغي أن يبلغ الشاعر شيئا ، ولابد أن يحرز السامع فائدة ما ولو كانت جمالية أو بيانية ، ولعل حالة التناغم والانسجام التي يعرضها النص الشعري هي سبب الجمال ومبعثا لأريحية في نفس السامع » [1] فالشعر يرتبط بالنفعية ، ومنفعة الشعر إخبارية وأخلاقية وجمالية أيضا.

[1] خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية ،مقاربة بين التداولية والشعر دراسة تطبيقية ، ص 17.

الفصل الأول : التداولية وتحليل الخطاب الشعري

1- مفهوم التداولية ونشأتها :

أ- التداولية مصطلحا

ب- التداولية مفهوما

ت- نشأة التداولية

2- التداخل المفهومي بين التداولية وتحليل الخطاب :

أ- الخطاب والنص

ب- الملفوظ والتلفظ

ت- نظرية تحليل الخطاب

ث- التداخل بين التداولية وتحليل الخطاب

3- تداولية النص الشعري

1- مفهوم التداولية ونشأتها:

أ-التداولية مصطلحا :

إنه من الضروري أن تكون نقطة الانطلاق في تحديد مفهوم التداولية مصطلحا من خلال رصد الجذر اللغوي لها حتى يظهر الأصل الذي نبعت منه هذه التسمية ، وتكمن أهمية هذا التحديد في توضيح الغموض ورفع الإبهام عن مصطلح التداولية.

- التداولية في المعجم العربي:

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة (دول) « تداولنا الأمر أخذناه بالدّل، وقالوا : دواليك أي مداولة على الأمر ، قال سيبويه : وإن شئت حملته على أنه وقع في هذه الحال ، ودالت الأيام أي دارت ، والله يداولها بين الناس .وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرة وهذه مرة.وتداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى تعاورناه ، فعمل هذا مرة ،وهذا مرة.[1]» وورد في معجم أساس البلاغة للزمخشري (ت535هـ) « دول : دالت له الدولة ، ودالت الأيام بكذا ، وأدال الله بني فلان من عدوهم ،جعل الكثرة لهم عليه ، وأديل المؤمنون على المشركين يوم بدر ،وأديل المشركون على المؤمنين يوم أحد ،والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم ، وتداولوا الشيء بينهم ، والماشي يداول بين قدميه ،يراوح بينهما»[2] .

إن ما يمكن تسجيله من خلال رصد المعنى المعجمي العربي لمصطلح "التداولية"هو دلالة الجذر (دول) التي لا تكاد تخرج عن معنى التحول والتبدل والانتقال ، وهذا المعنى يوحي بوجود أكثر من شخص يساهم في عملية التحول الذي يعتبر فعلا يستلزم أكثر من مشارك في إنجازه، أي أن معنى (داول) « هو الأخذ مرة بمرة وتارة بتارة والتبادل ويقال داول الله الأيام بين الناس أدارها وصرفها وجاء في قوله تعالى (وتلك الأيام نداولها بين الناس][3]

1 ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر، لبنان ، ط1،1990،مادة دول ، م11،ص 252.

2 باديس لهويمل :التداولية والبلاغة العربية ، مجلة المخبر : أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر ،بسكرة ، الجزائر ، العدد7 ، 2011، ص 156.

3 سورة آل عمران ،الآية :140.

فسرها ابن كثير بأن الألم والفرح تارة عليكم فيكون الأعداء غالبين وتارة تكون لكم الغلبة [1]» فوجهة المفسر توضح بأن لفظة التداول تعني التناوب والأخذ مرة بمرة.وحالة التحول التي تمتاز بها اللغة ، وصفة التبادل التي تنتقل بين المتكلم والسامع هي التي قربت مصطلح "تداولية " وأكسبته التواجد في حقل اللغة من خلال الدلالة التي يحملها أكثر من مصطلحات أخرى استعملت في لغات أخرى وترجمت إلى : النفعية ، الذرائعية . لذا وجب في اللغة العربية أن نفرق في المصطلح بين " التداولية " والذي نقصد الاتجاه اللغوي الجديد الذي يعنى بقضايا الاستعمال اللغوي ويقابله المصطلح الفرنسي "prgmatique" الذي ترجم بـ"البراغماتية " وترجم أيضا بـ "الذرائعية " أو " النفعية " والتي هي مذهب فلسفي تجريبي عملي.

وتجدر الإشارة كذلك إلى أن المعنى المعجمي لكلمة " تداولية " يوحي بالمعنى المستتر وراء نية القائل ، وكذلك نعني بالتداول فعل القول «ويرتبط التداول في اللسان العربي بانتقال ملكية المال من فرد لآخر دونه ويرتبط أيضا بتناقل الحديث واعتواره بين النقلة ، ويدل كذلك على تبادل الرأي في الأمور المشتركة»[2].

واعتواره بين النقلة ، ويدل كذلك على تبادل الرأي في الأمور المشتركة»[3]إذن فقد ارتبط المفهوم المعجمي للتداولية عند العرب بالتناوب والتبادل للحديث بين ناقليه.

وقد لوحظ في مجال البحث عند العرب أن كلمة " تداولية" هي الأكثر رواجا للمصطلحين : المصطلح الإنجليزي : " pragmatics" بمعنى المذهب اللغوي التواصلي الجديد، والمصطلح الفرنسي pragmatique بنفس المعنى ،هذا ولم يقصد الباحثون في ترجمتهم مصطلح pragmatisme" الذي يعني الفلسفة النفعية الذرائعية.

---

1 عبد الحكيم سحالية : التداولية ، مجلة المخبر : أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر ،بسكرة ، الجزائر ،العدد5 ، 2009،ص 88.

2 نور الدين اجعيط:تداوليات الخطاب السياسي ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ،إربد ، الأردن ، ط1،2012، ص50.

3المرجع نفسه ،ص50.

-التداولية في المعجم الغربي :

خلال القرن السابع عشر ميلادي أستعمل مصطلح " pragmatique" ليدل في المجال العلمي على « كل بحث أو اكتشاف من شأنه أن يعرف أو يفضي إلى تطبيقات ذات ثمار علمية وفي الوقت الحالي شاع المصطلح في الاستعمال الجاري فصار يدرج في عبارات مثل : c'tun esprit pragmatique و c'tun pragmatique وذلك لوصف شخص ما له القدرة على إيجاد حلول عملية وحقيقية لمشكل ما »[1] فوصف هذا المصطلح ينطبق على كل ظاهرة يتم تطبيقها ثم تظهر آثارها على الواقع ، وأول من عرض فكرة مفهوم "التداولية "بلغتها الأصلية هو " بيرس" ، ويرى البعض أن مقتضى مصطلح pragmatique هو التجريب والاختبار حيث تختبر قاعدة أو حقيقة ما من خلال نتائج تطبيقاتها العملية، بغرض أن الحقيقة تكمن في طابعها المنفعي أو المصلحي .لذلك ترجم مصطلح "pragmatique إلى الذرائعية التي أصبحت مدرسة فلسفية ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر مع " جون ديوي" و" وليام جيمس" اللذين يريان أن الحقيقة هي التي تحقق المشاريع المستقبلية الهادفة.فنظر البراغمتيين يقتصر على الطابع المادي للحقيقة ومنحاها المنفعي والمصلحي لتحقيق التقدم .

وقد شاع استعمال مصطلح "pragmatique " بين الدارسين في ميدان اللغة واللسانيات لأنه يحيل على التخاطب والتحاور بين الأطراف المتلفظة ، ويعود الفضل في إدخال هذا المصطلح إلى معجم اللسانيات الحديثة إلى الباحث اللساني CHarles Morris وقد عرّف المصطلح بوصفه جزء من السيميائية ويهتم بمعالجة العلاقة بين العلامات ومستعمليها.

ومم تجدر الإشارة إليه هو ضرورة التفريق بين المصطلحين " pragmatics" و pragmatisme" لأن الأول يستخدم في المجال اللغوي بينما استخدم الثاني في مجال الفلسفة وقد ترجم الأول إلى العربية بالتداولية ، في حين ترجم الثاني بالذرائعية في كثير من

1 منى بدري: تداولية الخطاب الأدبي لـ: دومنيك مانغينو –دراسة وترجمة– ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ،قسم اللغة العربية وآدابها ،جامعة الجزائر ،2008/2007 ،ص13.

الأحيان ، وقد شاع مصطلح التداولية بين الدارسين في ميدان علم اللغة « لأنه يحيل على التفاعل والحوار والتخاطب والتواصل والتداول بين الأطراف المتلفظة أما مفهوم الذرائعية فيدل على مدرسة فلسفية ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر»[1] ومن جهة أخرى يرى بعض الباحثين أن مصطلح pragmatisme" مفهوم له معنى في مجال الدراسات الفلسفية بحيث يهتم أساسا « بعملية التواصل وبكل أنواع التفاعل بين الأعضاء الحية، كما تراها فئة أخرى بأنها تعالج استعمال العلامات أساسا وهذا منظور موريس »[2].

إن تفرع مصطلح البراغماتية "pragmatique " إلى اتجاهين نتج عنه نوعين من التداولية الأولى فلسفية والثانية لغوية وهذه الأخيرة هي التي أسست لمنهج علمي يمكن اللساني من النفوذ إلى أعماق البنية الإبداعية عند المتكلم .ومصطلح pragmatisme" ذو البعد الفلسفي له صلة منهجية بمصطلح " pragmatics" الذي له علاقة بعلم التخاطب ، فكلاهما يتجه للبحث فيما هو مجرد والعناية بما هو عملي وسياقي ، ومتحقق فعليا.

فالمصطلح الأول له اهتمام خاص هو اللغة بينما يقتصر اهتمام البحث في الحقل الثاني على الفلسفة ، وله إمتداد وآثار في السياسة وعلم الاجتماع، أي أن الانطلاق في تحديد مفهوم التداولية من مصطلح "pragmatique " له منشأ فلسفي وهو البراغماتية أو الذرائعية pragmatisme" كما يسميه البعض وهذا يحيل إلى القول بأن التداولية امتداد للمذهب البراغماتي فهي نابعة منه وناتجة عنه وفرع متخصص له، لكن مجال اهتمامها يتعلق بميدان الأدب لاستخدامها كأداة لتحليل الخطاب.

وقد ورد في "**موسوعة كمبريدج**" تعريف لمصطلح التداولية الذي يقابل في الإنجليزية " pragmatics" « pragmatics is the study of an ability of language

1 جميل حمداوي : التداوليات وتحليل الخطاب ، مكتبة المثقف ، المغرب ،ط1 2015، ص6.

2 منى بدري: تداولية الخطاب الأدبي لـ: دومنيك مانغينو –دراسة وترجمة– ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ،قسم اللغة العربية وآدابها ،جامعة الجزائر ،2008/2007 ،ص14.

useers to pair sentences with they would be appropriate.

أي أن التداولية هي دراسة العوامل التي تؤثر في اختيار الشخص للغة ثم ينتقل تأثير هذا الإختيار في الآخرين عن طريق التواصل والتفاعل حسب المرسل وحسب رغبة المتلقي وفي اللغة الفرنسية نقف عند تعريف آخر : pragmatique domaine qui étudie l'usage que peuvent faire de la langue des interlocuteurs en situation communication»[1] فمصطلح التداولية مجال تخصصه اللغة ويدرس قدرة الفعل اللغوي والتفاعل بين المتكلمين في مختلف المقامات التواصلية ، والملاحظ أن مفهوم البراغماتية في اللغة الفرنسية لا يكاد يبتعد عما جاء في المعجم العربي لأنه يركز على الاهتمام بالاستعمال اللغوي وما يلحقه من مواقع نفسية تتعلق بالمتكلمين والمستمعين أي طرفا الحوار من متكلم ومستمع ، ويقصد به كذلك « كل ما يتعلق بمظاهر استعمال اللغة وخصائصه – المظهر التداولي – أي الحوافز النفسية للمتكلمين وكذا النماذج الاجتماعية وموضوع الخطاب وغير ذلك في مقابل المظهر التركيبي الذي يعنى بالعلاقات التركيبية الشكلية والمظهر الدلالي الذي يعنى بالعلاقات القائمة بين الوحدات اللغوية والواقع »[2] وهذا الاستعمال ذو البعد اللساني لمصطلح (pragmatique) يحصره في مجال البحث السيميائي الذي هو جزء من علم اللغة.

لقد أدى تعدد المنطلقات واختلافها في مصطلح pragmatique (التداولية) إلى التداخل المصطلحي بين مجموعة من الحقول المعرفية ونتج عنه تعدد التسميات ، وتجدر الإشارة في النهاية إلى أن هذا المصطلح قد ارتبط باتجاهين مختلفين « الأول يهتم بالجانب الاستعمالي للغة في السياقات المختلفة ، فيحاول تجاوز الطرح المتوارث للبنية اللغوية من اجل الكشف عن الوظيفة الإنجازية للغة ، والثاني منطلقه فلسفي يحاول البحث في القضايا

1 يسمينه عبد السلام : نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين ، مجلة المخبر : أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر ،بسكرة ، الجزائر ،العدد10 ، 2014،ص100.

2 عبد الرحمن بشلاغم: تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي :تفسير فخر الدين الرازي لسورة المؤمنون أنموذجا ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة والأدب العربي ، جامعة تلمسان ، الجزائر ، 2014/2013، ص 35.

المعرفية من خلال آثارها العملية »[1] . فالفلسفة البراغماتية اسمها pragmatisme" وقد ارتبط هذا المصطلح بالفلسفة العملية الفوائدية ، في حين خص مصطلح " pragmatics" البراغماتية اللسانية أو التداولية اللسانية التي اشتهرت باسم " التداولية" على الرغم من أن اللفظان الأجنبيان من أصل واحد.

إذن ما يمكن قوله عن مصطلح " pragmatics" هو ضرورة التفريق بين دلالته ودلالة البراغماتية أو النفعية أو الذرائعية التي تعتبر « ترجمات عربية لمصطلح pragmatisme ذلك المذهب الفلسفي الذي نشأ في زمان ومكان معينين وكان له الأثر في الفكر الفلسفي المعاصر عموما ، وفي الثقافة الأنجلوساكسونية خصوصا ، وكان له بعض الشأن في تكوين النظرة التداولية في الدراسات اللسانية »[2] .

ومن جهة أخرى يوحي مصطلح la pragmatique إلى نسق معرفي متداخل الاختصاصات مستقل عن اللسانيات لكنه يتداخل معها أصطلح عليه اسم " التداولية " وهي« لا تهتم بالمكونات اللسانية للخطاب المدروس بقدر ما تهتم ببعض المكونات الأخرى للعملية التواصلية وهذا ناتج عن التداخل مع الحقول المعرفية الأخرى التي تعرضها الظاهرة المدروسة »[3] إذن فالبراغماتية la pragmatique مجال معرفي ناشئ حديثا من تلاقح الدراسات اللسانية والفلسفية يحاول اكتشاف أبعاد جديدة في دراسة الظواهر اللغوية.

ب- التداولية مفهوما :

لقد تعددت مفاهيم التداولية في الدراسات العلمية ، وسنحاول فيما يلي أن نعرض أهم التعريفات الاصطلاحية للتداولية وسنركز على رصد المفاهيم التي تعتبرها حقلا معرفيا وعلما تواصليا له صلة وثيقة باللسانيات والبحث اللغوي لأنها قريبة منه وتشترك معه في بعض

1 عبد الحليم بن عيسى : المرجعية اللغوية في اللسانيات التداولية ، مجلة دراسات أدبية ، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعلمية ، الجزائر ، ع1، 2008 ، ص10.

2 محمود طلحة : منوال الأصوليين في تحليل الخطاب ، دراسة في المبادئ التداولية ، منشورات مخبر اللسانيات التداولية وتحليل الخطاب ، جامعة الأغواط ، الجزائر ، ط1، 2013، ص 14.

3 المرجع السابق ، ص 15.

الأسس العلمية ،وإضافة إلى هذا فالتداولية لها علاقة مع حقول معرفية أخرى لأنها « تمثل حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة منها : الفلسفة التحليلية ممثلة في فلسفة اللغة العادية ، ومنها علم النفس المعرفي ممثلا في نظرية الملاءمة théorie de pertinence على الخصوص ومنها علوم التواصل ، ومنها اللسانيات وعلوم اللغة بطبيعة الحال»[1] ، فانطلاقا من هذا الطرح ظهر اختلاف الدارسين في تعريف التداولية وغايتها ، غير أن معظمهم ربطها بقضية الاستعمال اللغوي .

ومن أبرز التعريفات الاصطلاحية نجد تعريف " تشارلز موريس" Morris حيث يقول « عن التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين بين العلامات ومستعملي هذه العلامات»[2].إن المتتبع لما ورد في هذا التعريف يلاحظ أنه يضم التداولية إلى حقل السيميائية فهي تتعدى المجال الإنساني لتصل إلى أبعد من ذلك فتكون العلامات في الاتصال الحيواني أو الآلي .

وهناك تعريف آخر للباحث اللساني " ماري دييرMarie diller " و" فرانسوا ريكانتي Francois Rècanti وهو أن « التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية وإذا ما أردنا أن نحلل هذا القول من أجل الوقوف على المقصود من هذا الحد فإننا نسجل النقاط التالية :

– التداولية علم يهتم بدراسة اللغة الإنسانية في الاستعمال.

– تسعى التداولية إلى الكشف عن المقدرة الإنجازية التي تحققها العبارة اللغوية»[3] .هذا التعريف يؤكد أن التداولية تهتم بدراسة اللغة في الاستعمال ، وأن الغاية منها هي الكشف عن القدرة الفعلية التي تحققها العبارة اللغوية ، فالتداولية تهتم بالمعنى الدلالي دون إهمال

---

1 مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب : دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار التنوير للنشر والتوزيع ، ط1، 2008، الجزائر ، ص25.

2 نعمان بوقرة :محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، منشورات جامعة باجي مختار ، عنابة ، الجزائر، 2006، ص 174.

3 عبد الحليم بن عيسى : المرجعية اللغوية في اللسانيات التداولية ، مجلة دراسات أدبية ، ص11.

بعض الأشكال اللسانية التي لا يظهر معناها إلا من خلال استعمالها.« وعرفها فرانسيس جاك Francis jaques بقوله « تتطرق التداولية إلى اللغة خطابية وتواصلية واجتماعية معا ، فاللغة من هنا استعمال بين شخصين للعلامات استنادا إلى قواعد موزعة تخضع لشروط إمكانية الخطاب »[1] يفهم منهذا التعريف أن اللغة من منظور التداولية نشاط يمارس ضمن سياق معين يهتم بملامح استعمالها للخطاب ويقصد هنا :

– نفسية المتكلمين ، رد فعل المستمعين ، الطابع الاجتماعي للخطاب ، موضوع الخطاب ، ويقابل هذا الاستعمال الجانب التركيبي المتمثل في المميزات الشكلية للأبنية اللغوية والجانب الدلالي الذي يُعنى بالعلاقة بين الوحدات اللسانية والعالم.

لقد أكد معظم الباحثين أن التداولية مفادها رصد القوانين الخاصة بالاستعمال اللغوي ومحاولة التعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي لذا تم تعريفها بأنها « علم استعمال اللغة وقد نقول في تعريفها: بأنها نسق معرفي استدلالي عام يعالج الملفوظات ضمن سياقاتها التلفظية والخطابات ضمن أحوالها التخاطبية »[2] فالتداولية هي علم لا يكتفي بالوصف والتفسير بالمعنى التقليدي وإنما علم جديد يتعدى في دراسته للظواهر اللغوية الشكلية ليركز على مجال استعمال اللغة «فهي نسق معرفي ناشئ حديثا ، ورغم أنها لم تحظ باستقرار منهجي نسبيا لتعدد نظرياتها وتعدد مشاربها النظرية المعرفية إلا أن ما أتاحته نظرياتها من آليات وأدوات أسهمت في تكريس المعرفة الإنسانية واكتشاف أبعاد جديدة في دراسة الظاهرة اللغوية هو ما جعلها محط الاهتمام في الدراسات المعاصرة »[3].

هذا التعريف ينظر إلى التداولية على أنها نسق معرفي متداخل التخصصات يتعدى اعتبارها

---

1 نعمان بوقرة :محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، منشورات جامعة باجي مختار ، عنابة ، الجزائر، 2006، ص 174.

2 مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب : دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار التنوير للنشر والتوزيع ، ط1، 2008، الجزائر ، ص15.

3 محمود طلحة : تداولية الخطاب السردي ، دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ،ط1، 2012، ص 24.

على أنها تخصص علمي يدرس مستويات التحليل اللساني ، فهي نسق مستقل عن اللسانيات ، وإنما يتداخل معها من جهة تعريفها بأنها تبحث في قوانين الاستعمال اللغوي فقط .

هذا وإن اعتبار التداولية تتميز بأنها جانب معرفي متداخل مع العلوم الأخرى لا ينفي بعدها عن اللسانيات فعلاقتها معها أكبر من علاقتها بالحقول المعرفية الأخرى . وتحديد مفهوم التداولية من هذا المنطلق لا يُبنى على معيار البنية اللغوية ، ولا يتحدد كذلك على معيار الاستعمال اللغوي وحده وإنما مفهومها يحدد بناءاً على تعالق البنية اللغوية بمجال استعمالها ، وبهذا تكون التداولية قد فتحت مجالا جديدا يعطي أهمية كبيرة للإهتمام بالجانب الإستعمالي للغة أكثر من الجانب الشكلي لها.

ويحدد " ليفنسون " Levinson التداولية من خلال مجموعة من التعريفات أهمها :

« 1- إذا كان التركيب دراسة للخصائص التأليفية بين مكونات الجملة ، والدلالة دراسة للمعنى، فإن التداولية دراسة للإستعمال اللغوي الذي يؤديه أشخاص لهم معارف مشتركة ووضعية اجتماعية معينة.

2- التداولية دراسة للمبادئ التي تؤهلنا لإدراك غرابة بعض الجمل أو عدم قبولها أو لحنها أو عدم ورودها في لغة المتكلم »[1] فالملاحظ في التعريف الأول هو التمييز بين الاختصاصات اللغوية وربط الجانب التداولي منها بالاستعمال الاجتماعي ، ويوضح التعريف الثاني وظيفة التداولية فهي تسعى للمعنى الخفي الذي لم يصرح به المتكلم ، إضافة إلى تحديد مدى مقبولية الحديث بين المتخاطبين.

3- التداولية هي « دراسة اللغة في إطارها الوظيفي ، وهذا يعني شرح وفهم البنيات اللغوية بالإعتماد على علل واستدلالات غير لغوية .

1 نور الدين اجعيط: تداوليات الخطاب السياسي ، عالم الكتب الحديث ،إربد ، ألأردن، ط1 ، 2012، ص 51.

4- التداولية دراسة للعلاقات بين اللغة والسياق، وقد تميز اهتمامها في هذا المستوى بدراسة كفاية مستعملي اللغة وربطها بسياقاتها الخاصة »[1] يفهم من هذين التعريفين أن وظيفة التداولية هي دراسة الجانب الوظيفي للغة بالإعتماد على عناصر خارج اللغة ، ومهمتها تتجلى في دراسة كفاءة مستعملي اللغة (المتكلمين) وربطها بالسياق الذي أُنجز فيه الكلام.

« 5- التداولية دراسة لظواهر بنية الخطاب اللغوي من تضمينات واقتضاءات أو ما يسمى بأفعال اللغة Actes de langage ، والتداولية دراسة كل مظاهر المعنى من غير فصلها عن نظرية الدلالة إلا أن الدلالة محدودة في عنصر الصدق ، في حين تتناول التداولية التعابير التي لا تعلل بشروط الصدق »[2] فالتداولية أيضا تهتم بقضايا الخطاب اللغوي الصريحة والضمنية بما فيها الأفعال الكلامية المنجزة ، كما تولي أهمية لدراسة المعنى انطلاقا من الدلالة.

ويرى " أوستين" Austin أن التداولية « جزء من علم أعم هو دراسة التعامل اللغوي من حيث هو جزء من التعامل الاجتماعي ، وبهذا المفهوم ينتقل باللغة من مستواها اللغوي إلى مستوى آخر هو المستوى الاجتماعي في نطاق التأثير والتأثر »[3] أي أن غاية التداولية هي دراسة الاتصال اللغوي داخل الإطار الاجتماعي الخاص به من خلال الكشف عن الشروط التي تساهم في تساهم في إنتاج الإنجازات اللغوية ، كما تبحث أيضا في آثار هذا الاتصال اللغوي وفاعليته.

فالتداولية تخصص يتناول اللغة على أنها ظاهرة خطابية وتبليغية واجتماعية ، فهي « لم تكتف بدراسة اللغة لذاتها كما فعلت البنيوية بل تجاوزتها إلى دراسة استعمال اللغة ، واستدعت عناصر أخرى مرتبطة بهذا الاستعمال وتابعة له هي المتكلم والمتلقي والكلام

1 المرجع نفسه ، ص 52.

2 المرجع السابق، ص 52.

3 عبد الحليم بن عيسى : المرجعية اللغوية في اللسانيات التداولية ، مجلة دراسات أدبية ، ص11.

واللفظ والمقام والتواصل والغرض »[1] أي أن مهمة التداولية هي دراسة علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه ، وطريقة استخدام العلامات اللغوية في الخطاب انطلاقا من السياقات والأنماط المقامية المختلفة التي يُنجز فيها أي أنها « تبحث عن كيفية اكتشاف المتلقي مقاصد المتكلم فقول القائل : أهذه سيارتك ؟ فالسؤال من دون شك موجه للمخاطب ، ولكن أهو سؤال حقيقي ، أم يحمل لوما لأن سيارة المخاطب سدت الطريق على السيارات الأخرى ، وهذا هو المعنى الذي يقصده المتكلم »[2] فهي تبحث أيضا عن كيفية اكتشاف المتلقي لمقاصد المتكلم انطلاقا من جوانب السياق التي تختفي في تراكيب اللغة. فالمعنى السياقي والمعنى الكامن هو المقصود في الدراسة التداولية ، لأن المعنى لا يُختزل في الكلمات وحدها ، ولا يرتبط بالمتكلم فقط ، كما أنه لا ينحصر عند المتلقي ، وإنما صياغة المعنى تكون في تداول لساني بين طرفين يتبادلان الكلام في سياق معين من أجل الوصول إلى المعنى المتخفي وراء الكلمات ، وبالتالي يكتسب الكلام سمات فعلية في المتلقي،الغرض منها القصدية والتأثير والإقناع من أجل إبراز موقف المتكلم أو تعديل سلوك المتلقي أو موقفه ، وبالتالي لا يمكن أن نعتبر التداولية « علما لغويا محضا يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة ،ولكنها علم جديد يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال »[3] .

فالتداولية إذن تلجأ إلى دمج مجالات معرفية متعددة أثناء دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتحليلها « وتفسير ظاهرة التواصل اللغوي يعني الخروج إلى معنى المتكلم ، أو تجاوز المعنى اللغوي والدلالي إلى المعنى المقصود»[4] فاهتمام التداولية بالتواصل أو الحوار جعل

---

1 محمود عكاشة : النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) ، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ،ط1، 2013، ص20.

2 بلقاسم دفة : إستراتيجية الخطاب الحجاجي – دراسة تداولية في الإرسالية الإشهارية العربية – مجلة المخبر : أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر ،بسكرة ، الجزائر ،العدد10 ، 2014،ص492.

3 المرجع نفسه ، ص 492.

4 ظريفة ياسة : الوظائف التداولية في المسرح ، مسرحية صاحب الجلالة لتوفيق الحكيم أنموذجا ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة والأدب العربي ، جامعة قسنطينة، الجزائر ، 2010/2009، ص07.

بعض المنظرين يساوي بينها وبين لسانيات الحوار انطلاقا من أن التداولية تُعنى كثيرا بالحوارات التي يتبادلها المتخاطبون لغويا ، وهذا ما جعل الدرس التداولي « تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم كما يُعنى من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث »[1] والمقصود هنا بتأويل الخطاب ليس التأويل الحرفي المباشر ، وإنما الخروج من تأويل المعنى الحرفي إلى المعنى المقصود الذي يريده المتكلم.

لذلك ظهر التباين بينها وبين علم الدلالة لأنها تركز على « دراسة كل جوانب المعنى التي تهملها النظريات الدلالية فإن اقتصر علم الدلالة على دراسة الأقوال التي تنطبق عليها شروط الصدق truth condition فإن التداولية تُعنى بما وراء ذلك مما لا تنطبق عليه هذه الشروط »[2] فالبحث في الدرس التداولي يهتم بكيفية الوصول إلى مقاصد المتكلم الحقيقية ، والبحث كذلك عن المعنى المقصود وليس المعنى الدلالي فقط .

إن معظم الباحثين يشتركون في تعريفاتهم للتداولية على أنها تُعنى بدراسة اللغة في الاستعمال ، أو الجانب الاستعمالي للغة من خلال دراسة كفاية مستعملي اللغة داخل السياقات التي أُنجزت فيها ، وكذلك المعنى المقصود الكامن في تداول الكلمات بين المتكلم والمتلقي في سياق معين ، خلافا للبحث الدلالي الذي يهتم بالبحث في الكامن في الكلمات وحدها ، وهذا ما يجعل من الدراسة التداولية « لا تكتفي بالوصف والتفسير عند حدود البنية اللغوية أو المستوى الشكلي لها ، بل تتجاوز ذلك إلى مستويات أعمق وأكثر استيعابا للظاهرة اللغوية بكل أبعادها التواصلية ذلك أنها تدرس اللغة وعلاقتها بمستعمليها والمؤولين لها من جهة ، كما تهتم بالبحث عن شروط نجاح هذه العلامات اللغوية في سياقاتها المختلفة مما يجعل منها نظرية استعماليه من جهة أخرى »[3] وهذا يعني أن التداولية علم

---

1 الجيلالي دلاش : مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ترجمة محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1992، ص 01.

2 محمود احمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، مصر،2002، ص 12.

3 ظريفة ياسة : الوظائف التداولية في المسرح ، مسرحية صاحب الجلالة لتوفيق الحكيم أنموذجا ، ص 9.

لاستعمال اللغة تبحث عن المعنى الظاهر والمضمر الملائم للسياق ، ومدى إمكانية الكشف عن قصدية المتكلم لتحديد التطابق بين دلالة المعنى وظروف السياق الذي أنتجت فيه. لأن دلالة الألفاظ لا تحمل المعنى الإجمالي لها ، وهي التي « تتيح عدة خيارات للرسالة الواحدة ، ولكن السياق الذي يحكم مجريات الرسالة ويتحكم في معطياتها ، وبواعثها ومنطلقاتها وأهدافها يحدد طبيعة هذا المعنى ، ويتحكم في إقصاء الاحتمالات الأخرى عن طريق دعم المقترح الأكثر بروزا »[1] فالعبارة اللغوية تكون ناجحة ومفهومة إذا ارتبطت في معناها بالسياق الذي استعملت فيه ، وبناء على التوجه حصر اللغويون اهتمام الاتجاه التداولي بدرجة أولى في « البعد الاستعمالي والإنجازي للكلام وللغة الخطاب ، آخذا بعين الاعتبار كلا من المتكلم والسياق الذي ورد فيه الكلام ، وبالتالي فإن التداولية يمكن عدُّها من هذا المنطلق نظرية استعمالية وتخاطبية ، من حيث تركيزها على اللغة في استعمال المتكلمين لها ، وعلى وصف شروط التبليغ والتواصل التي تحكم هؤلاء المتكلمين ومقاصدهم من وراء استعمال السياقات اللغوية والمقامات الممكنة التي ينجز ضمنها مقام التواصل »[2] فقد عدت التداولية مذهبا لسانيا يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه وكيفيات وطرق استخدام العلامات اللغوية بنجاح من خلا ربطها بالسياقات التي ينجز ضمنها الخطاب.

ت- نشأة التداولية :

تُعتبر اللسانيات التداولية اسما جديدا لطريقة قدسية في التفكير « بدأت معالمها تظهر في التفكير الفلسفي على يد سقراط ثم تبعه أرسطو والرواقيون بعد ذلك ، لكنها لم تظهر إلى الوجود نظرية في الفلسفة إلا على يد " هربيرت بريكلي " فقد كشف عنها بطريقة لم يسبقه فيها فيلسوف آخر فيما تشير إليه الدراسات ، ثم توسعت في العقود الثلاثة الأخيرة تغذيها

1 فاطمة النشيدي : المعنى خارج النص – أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب – دار نينوى للنشر والتوزيع والنشر ، دمشق ،2011، ص 6.

2 عبد القادر عواد : آليات التداولية في الخطاب ، الخطاب الأدبي أنموذجا ، مجلة علامات ، النادي الأدبي بجدة ، ج74، مج 19، 2011، ص 44.

جملة من العلوم أهمها الفلسفة التحليلية والتي تمثل ركنها الركين »[1] فقد اهتمت الفلسفة التحليلية بكيفية توصيل معنى اللغة الإنسانية من خلال الإبداع وهذا ما سعت إليه التداولية في الواقع لأنها اهتمت بظاهرة الكلام وما ينتج عنه من مواقف سلوكية أثناء الاستعمال ، وتعتبر قضايا التداولية كالإحالة والأفعال الكلامية والاستلزام الحواري امتدادا وتطويرا لقضايا الفلسفة التحليلية التي انتقلت إلى حقل الدراسات اللغوية .

ومن أشهر الفلاسفة الذين بحثوا في هذا الموضوع نجد " فيتغنشتاين " الذي اهتم كثيرا في بحوثه المنطقية والفلسفية بالجانب الاستعمالي للغة ، وهو يعتبر اللغة وسيلة للتأثير ويربطها بالمواقف المحسوسة في التواصل أكثر ما هي وسيلة للإفهام ، كما أنه يولي أهمية كبيرة لسياق التلفظ « وعرض في ذلك فكرة ألعاب اللغة وهو تعبير في معناه الأولي يوضح كم هو مهم أن تأخذ بعين الاعتبار سياق الملفوظية إذا تعلق الأمر بفهم دلالة التعبير اللغوي أو شرحه من خلال كتابه " بحث في فلسفة المنطق " الذي كشف فيه مفهوم التلاعب بالكلام ، وأصبح فيما بعد أحد دعائم ظهور التداولية ، ذلك أنه مرتبط بالمعنى الفعلي الذي منحه للملفوظات فهو قائم إذاً على ممارسة التأويل من خلال الأداء الفعلي للغة »[2] فاللغة خاصة بالفرد وهذا الأخير ينتج كلامه في تراكيب المجتمع الذي يعيش فيه ، وكل الأفعال اللغوية ترتبط بالحياة وممارستها تنحصر فيما ينتجه المتكلمون في إطار العلاقات بينهم ، ويجب أن توصف اللغة في استعمالها وتداولها العادي، لقد حاول " فيتغنشتاين " الإسهام في حقل اللغة من خلال محاولته ايجاد لغة مثالية تتطابق مع الفكر الفلسفي لذلك اتجه إلى دراسة اللغة العادية مركزا على الإستعمال ، وقد أكدّ في بحوثه على أن الكلمة والجملة تكسب معناها من خلال استخدامها ، فالمعنى عنده هو الاستعمال ، وبالتالي يكون قد ساهم مساهمة فعالة في مجال التداولية ، وقد ظهر ذلك في جهوده الفلسفية وإجراءاته التحليلية.

---

1 نعمان بوقرة لسانيات الخطاب – مباحث في التأسيس والإجراء – دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2012، ص 73.

2 خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية ، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2، 2012، ص 42.

ولقد اعتبر الباحثون الفلسفة التحليلية بمثابة الأرض التي نبتت عليها التداولية ، وذلك لإهتمامها بالبحث في المعنى والكلام العادي ، وكذلك التمييز بين المعنى والمرجع ، وهذه المباحث اللغوية كلها تندرج ضمن البحث التداولي.

وفي الحديث عن أصول التداولية ونشأتها فقد انبثقت مفاهيم ذات أصول فلسفية وأخرى لسانية ونقدية وفق تصورات لبعض الفلاسفة ، والتي شكلت الأرضية الخصبة لنشوء التداولية وقيامها كمنهج لساني ثم كمنهج نقدي لتحليل الخطاب ، ومن بين الفلاسفة الذين ساهموا في هذا المجال نذكر :

أ – شارل ساندرس بيرس :

« لقد ظهرت ملامح التداولية مع الفيلسوف والسيميائي " شارل ساندرس بيرس " سنة 1978حيث كتب مقاله المشهور " كيف نجعل أفكارنا واضحة " فهو يتساءل عن كيفية جعل أفكارنا أكثر وضوحا ، ومتى يكون للفكرة معنى وخلص إلى أن أي لفظ لا معنى له إذا لم يكن في مقدورنا استخدامه ، فهو بذلك يربط المعنى بظروف الاستعمال، كما أنه يربط فهم اللغة بمجال التواصل »[1] فقد طور نظريته الجديدة حول مراتب العلامة وكيفية تأويل الدليل بالاعتماد على موضوعه ، لأن دراسة الدليل اللغوي في منظوره تتم بواسطة التفاعل الذي يحدث بين الذات والنشاط السيميائي ، ويجب ربطه كذلك بالواقع الاجتماعي ،ويعتبر " بيرس التداولية « فرعا من السيميائيات وذلك فيما كتبه وعبر عنه في تلخيصه لإطارها العام وذلك أن اللسانيات التداولية تفرض كلا من الدراسة التركيبية والدلالية فالتداولية بهذا المنظور هي نقل للواقع ووسيلة من وسائل المعرفة والاتصال ، ومنهج لجميع ميادين المعرفة ولذلك رأى بيرس أنه بالتحديد التداولي تتحدد العلامة اللسانية بحكم استعمالها في تنسيق مع علامات أخرى من طرف أفراد جماعة معينة »[2] ، إن العلامة اللغوية في رأي بيرس تتحدد

---

1 سامية شودار :الخطاب الشعري في أطلس المعجزات لصالح خرفي – دراسة تداولية– مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم الأدب العربي ، جامعة بسكرة ، الجزائر، 2014/2013 ، ص 18.

2 عبد الحكيم سحالية : التداولية ، مجلة المخبر : أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر ،بسكرة ، الجزائر ،العدد 5 ، 2009، ص 96.

عن طريق الاستعمال داخل المجتمع بالتنسيق مع باقي العلامات الأخرى ، ويظهر إسهام بيرس في نشأة الدرس التداولي من خلال :

– التمييز بين التعبير بعدّه نمطا ، وبين ما يقابله أثناء الاستعمال.

– التمييز بين العلامة ولإشارة والرمز والأيقونة ، وحصره للدليل اللغوي في علاقته بموضوعه.

ب– تشارلز موريس (charles Morris):

يعتبر الفيلسوف موريس من مؤسسي التداولية، وقد اعتبرها جزءا من السيميائية « ورغم الانتساب الذي خصه موريس للتداولية بجعلها جزءا من السيميائية لأنها تدرس العلاقة بين العلامات ومستعمليها إلا أن توجهها الحقيقي انحصر في دراسة اللغة بوصفها أفعالا إنجازية ترتبط بالسياق الذي وردت فيه »[1].فالعلامة اللغوية عنده ترتكز على التركيب الذي يهتم بدراسة قواعد توافقات الأدلة والتداولية التي تهتم بدراسة قواعد استعمال الأدلة انطلاقا من الدوافع الخارجية المحيطة بالواقع. ويشير موريس إلى أن التداولية ترتبط ارتباطا وثيقا بعلم السيمياء وتتداخل معه « لأن تفسير المتلقي للأدلة يستلزم معرفة علاقات الأدلة بعضها ببعض ، وكذا علاقة الأدلة بالأشياء التي تدل عليها في الواقع الخارجي ، فالتداولية إذن تعتمد على علميْ التركيب والدلالة في محاولتها للكشف عن مقاصد المتكلم»[2] .

لقد ميّز موريس بين فروع اللغة التي تشمل : علم التركيب وعلم الدلالة ، والتداولية وبيّن أن « هذه الفروع مرتبطة ببعضها ارتباطا وثيقا ، فالتداولية تدرس كيفية تفسير المتلقي للعلامة وهذا التفسير لا يتم بمعزل عن كل الُبنى التركيبية والنحوية للغة المستخدمة ، لأن النظام اللغوي يرتكز على الأشياء ، والعلامات كذلك بمراجع تحيل إليها في العالم الخارجي»[3].إن

---

1 عمر بلخير : مقالات في التداولية والخطاب ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص24.

2 سامية شودار :الخطاب الشعري في أطلس المعجزات لصالح خرفي – دراسة تداولية– مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم الأدب العربي ، جامعة بسكرة ، الجزائر، 2014/2013 ، ص 20.

3 عبد الحكيم سحالية : التداولية ، مجلة المخبر : أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر ،بسكرة ، الجزائر ،العدد 5 ، 2009، ص 96.

فهم العلامات حسب موريس يستوجب الإحالة المرجعية لها وهذا من اختصاص الدلالة ، لذلك تأتي التداولية معتمدة على علمي التركيب والدلالة من أجل الكشف عن المعنى المقصود الذي يرمي إليه المتكلم، لأن الدلالة اللغوية يختلف تأويلها باختلاف المواقف السلوكية للمتكلمين.

ت- وليام جيمس William James :

ارتبط ظهور الدراسات التداولية في الولايات المتحدة الأمريكية بالفيلسوف "وليام جيمس" وقد سار « على خطى صديقه بيرس وألقى محاضراته الشهيرة " التصورات العقلية والنتائج العملية " سنة 1898 ولقد ورد في كتاب وليم جيمس لمؤلفه محمد الشنيطي بأن وليم جيمس كان أول من استخدم مصطلح البراجماتية Pragmatisme في هذه المحاضرات»[1] فقد سعى هذا الفيلسوف إلى تطوير الدراسات اللغوية التي ترتكز على التركيب والدلالة وذلك بإدراج مقاربة سياقية تربط بالسياق التواصلي وتعنى بالوظيفة السياقية للغة وقد اهتم وليم جيمس« بالجانب المنفعي والمصلحي ، حيث ربط الفكرة بالواقع العملي والممارسة الواقعية بالتشديد على المصلحة والمنفعة الإنتاجية بغية بناء مستقبل عملي زاهر »[2] فهو يرى أن الأفكار ليست مطلقة وإنما تدعم الأفعال ويمكن قياسها حسب نجاعتها وفعاليتها ، أي أن القيم اللغوية يتم ترجمتها إلى أفعال ، كما أنه يؤكد وجود مجموعة من الحقائق ذات المنفعة النسبية وهي حقائق مقبولة بحسب السياق .

وقد أشار في محاضراته واقترح العديد من المصطلحات التي أصبحت فيما بعد تستعمل في الدرس التداولي.

وتعتبر محاضرات وليم جيمس التي ألقاها الفيلسوف "أوستين" سنة 1955مبمثابة التمهيد لمرحلة النضج والاكتمال للسانيات التداولية ،وقد كان لهذه المحاضرات أثر بالغ في نشأة التداولية فهي تعتبر « المرحلة التأسيسية لهذا النوع من الدرس اللغوي ، إذ سعى أوستين من

---

1 منى بدري : تداولية الخطاب الأدبي لدومينيك مانغينو – دراسة وترجمة– مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ،قسم اللغة العربية وآدابها لا، جامعة الجزائر ،2008/2007، ص 23.

2 جميل حمداوي : التداوليات وتحليل الخطاب ، مكتبة المثقف ، المغرب ،ط1 2015، ص11.

وراء هذه المحاضرات إلى إثبات فكرته التي تقول : إن اللغة تهدف إلى وصف الواقع، إذْ أن الجمل الخبرية كلما يمكن أن يحكم عليها بالصدق والكذب ، فهي صادقة إذا كان الوصف الذي تصفه قد تحقق فعلا في الكون وهي كاذبة إذا كانت بخلاف ذلك »[1] فقد توصل أوستين في عمله الذي فرق فيه بين الجمل الخبرية والإنشائية إلى أن الجمل التي يتم التلفظ بها على نحو جاد توافق إنجاز عمل قولي ، وعمل متضمن في القول وتوافق أحيانا القيام بعمل التأثير في القول .

فالتداولية لم تصبح مجالا يُعتد به في الدرس اللغوي المعاصر إلا من خلال العمل الذي جاء به " أوستين " وقد « قدم نظرية إجرائية للتداولية وتحليل الخطاب تسمى نظرية أفعال الكلام ، وأكد أن كل ملفوظ يخفي بعدا كلاميا وترتكز نظريته على مجموعة من الأفعال هي أفعال الأحكام ، وأفعال القرارات وأفعال التعهد، وأفعال السلوك، وأفعال الإيضاح »[2] لقد طور أوستين رفقة مجموعة من فلاسفة اللغة مفاهيم الدرس التداولي انطلاقا من فلسفة اللغة الطبيعية وهدفهم وراء ذلك هو ايجاد طريقة لتوصيل معنى اللغة الإنسانية من خلا الإرسال والتبليغ بين المتكلمين وهذا ما عرف بالبحث التداولي ، ويعتبر " أوستين " من أبرز الباحثين الذين حصروا المعنى اللغوي في الاستعمال واشتهرت بحوثهم في موضوع التداولية ويُشهد له في هذا المجال ما قدمه في مشروعه " نظرية أفعال الكلام انطلاقا من مفهوم الفعل في اللغة" « وخلاصة فكرته في ذلك أن كل قول ملفوظ يُعد عملا، وميّز بين نوعين من الملفوظات ، الملفوظات الثابتة التقريرية (constatifs) والتي تمثل حالات أشياء وهي قابلة لأن تكون حقيقية أو خاطئة والملفوظات الإنجازية (performatifs) وترتبط بشروط تحقيقها التي تحملها حال النطق بها ، وبمساعدة بعض الشروط الظرفية الأخرى »[3]. لقد فرق

---

1 بشرى البستاني : التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، مؤسسة السياب ، بغداد، ط1،2012، ص110.

2 سامية شودار :الخطاب الشعري في أطلس المعجزات لصالح خرفي – دراسة تداولية– مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم الأدب العربي ، جامعة بسكرة ، الجزائر، 2014/2013 ، ص21.

3 خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية ، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2، 2012، ص44.

"أوستين " بين الجمل الإنشائية والخبرية ، وأكّد أن الجمل الإنشائية لا تُستعمل لوصف الواقع مثل الخبرية ، بل الهدف من استعمالها هو التغيير فهي تتضمّن أفعالا تتعلق بالأمر والوعد والقسم ، وتفيد من خلال معناها انجاز أعمال مختلفة. هذا وقد تجاوز أوستين المسلّمة التي كانت تعتمدها الفلسفة الوضعية في الحكم على دلالة الجمل من خلال الصدق والكذب بالنظر إلى مطابقتها للواقع لذلك أثبت « بأن دلالة الجملة في اللغة العادية ليست بالضرورة إخبارا ، ولا إحالة على واقع فتتحمل الصدق أو الكذب بل إنها تُقاس في الدرس التداولي بدرجة الإخفاق أو التوفيق »[1] ولم يقتصر في بحوثه على التفريق بين الجمل الإنشائية والخبرية فقط فقد تخلى عن هذا وكشف مفهوما جديدا في البحث التداولي والذي طورّه أتباعه فيما بعد والذي يقرّ فيه « بأن كل جملة بمجرد التلفظ بها على نحو جاد توافق في الأقل إنجاز عمل قولي وعملا متضمنا في القول ، وتوافق أحيانا كذلك القيام بعمل التأثير في القول »[2] إن تمييزه بين الأنواع الثلاثة للأفعال اللغوية جعله يصل إلى مفهوم مفاده أن كل جملة تامة مستعملة تقابل إنجاز عمل لغوي واحد على الأقل ، ويمكن توضيح ذلك بالجملة الآتية فحين تخاطب الأم ابنها قائلة " نظف أسنانك " فهذه الجملة تمثل العمل القولي « أما العمل المتضمن القول فهو الفكرة التي تحملها الجملة ، ووصلت للإبن بمجرد سماع تلك الجملة ، وأما عمل التأثير بالقول فنجده واضحا في رد الإبن على أمه لا أشعر بالنعاس ، حيث تضمّنت هذه الجملة إقناعا للوالدة بتأجيل إبنها غسل الأسنان لموعد النوم كما تحتوي على الفعلين (العملين) الأول والثاني »[3] ، إن نظرية أفعال الكلام التي ظهرت مع أوستين هي التي شكلت البداية الموفقة لما يُعرف باللسانيات التداولية ، وما قدمه في هذه النظرية يعتبر تغييرا الأولى في مسار الدرس اللغوي عموما لأنه يرى أن « وظيفة اللغة الأساسية ليست إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار ، إنما هي مؤسسة تتكفل

1 ظريفة ياسة : الوظائف التداولية في المسرح ، مسرحية صاحب الجلالة لتوفيق الحكيم أنموذجا ، ص 11.

2 بشرى البستاني : التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، مؤسسة السياب ، بغداد، ط1،2012، ص111.

3 باديس لهويمل :التداولية والبلاغة العربية ، مجلة المخبر : أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر ،بسكرة ، الجزائر ، العدد7 ، 2011، ص 161.

بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية »[1] وسرعان ما تطورت آراء أوستين على يد بعض فلاسفة اللغة خاصة تلميذه جون سيرل (j. Searle) الذي أكمل الأسس المنهجية لنظرية أفعال الكلام وطور مساعي وأفكار أوستين من خلال تحديد مفهوم الفعل الإنجازي الذي يُعتبر محور نظرية أفعال الكلام ،والذي اقترح بعض التعديلات على هذه النظرية وطوّرها أيضا ، ويمكن أن نلخص جهوده في المجال التداولي باختصار في النقاط التالية :

«– نص سيرل أن الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي ، وأن للقوة الإنجازية دليلا يسمى دليل القوة الإنجازية ، ويبيّن أن الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه لجملة معينة يكون باستعماله لصيغة معينة تدل على دلالة معيّنة ، كالأمر أو النهي أو التّنغيم.

– الفعل الكلامي عنده مرتبط بالعرف اللغوي الاجتماعي ، وهو أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم.

– قسّم سيرل الأفعال الكلامية إلى أفعال مباشرة وغير مباشرة »[2]. لقد اعتبر سيرل الأفعال الكلامية والجمل المنجزة وسيلة للتعبير عن مقاصد معينة فهو يرى أن التواصل اللغوي ليس مقطعا داخليا في اللغة وإنما يرتبط بأفعال القول أو أفعال إنشاء القول ، وخلاصة الفكرة التي تحملها نظرية الأفعال الكلامية التي جاء بها أوستين وطورها سيرل أن اللغة تتجاوز وظيفة الإتصال إلى وظيفة التأثير وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف تواصلية. ويرجع لهما الفضل في التطور الملحوظ الذي شهده الدرس التداولي مع هذه النظرية التي تقوم على فرضية مفادها أن الجمل في مختلف اللغات لا تنقل مضامين مجردة من خلال معانيها ، بل تؤدي وظائف تختلف باختلاف السياقات والمقامات ، أي أنها تؤدي أعمالا

1 عمر بلخير : تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ،ط2، 2015، ص 145.

2 عبد الحكيم سحالية : التداولية ، مجلة المخبر : أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر ،بسكرة ، الجزائر ،العدد 5 ، 2009،ص103 .

مختلفة في الواقع عند التحدث في مواقف الإخبار والنهي والوعد والشكر والأمر، « كما يُضاف إلى هؤلاء أثر فيلسوف اللغة الإنجليزي (بول غرايس) (Herbert. p . Grice) والذي تجلى في تطوير الدرس التداولي لاسيما في حديثه عن مبادئ (نظرية المحادثة) و (التعاون) المنبثقة من مناخ الفلسفة التحليلية ، ويقصد بمبدأ التعاون الذي يُعدّ أحد المبادئ العملية الأساسية للفعل التداولي أن يكون أطراف العملية التواصلية متعاونين فيما بينهم لتسهيل هذه العملية وهو ما يفرض على المتكلم مثلا أن يراعي حالات المخاطب (المتلقي أو السامع) لغويا واجتماعيا ونفسيا وثقافيا ، ومن ثمّ يُطلب من المتكلم أن يسخّر لإنجاح العملية ما قد يُعين من وسائل التبليغ كالإشارة والملامح والحركة وذلك بحثا عن تعاون من الطرف المستقبل بالإصغاء والانتباه والتركيز والإهتمام بالفهم وغيرها من العوامل المسهلة في تلق ناجح وجيّد»[1] .

لقد وسع غرايس مجال نظرية أفعال الكلام التي اقام بناءها كل من أوستين وسيرل لتظهر بعدها جملة من المفاهيم والنظريات التي تشكل مجتمعةً ما يُعرف باللسانيات التداولية ، وما ينبغي تسجيله عن نشأة التداولية في الدرس اللغوي كمنهج نقدي هو ثورة العديد من اللغويين ضد المناهج الشكلية التي هيمنت على الدراسات اللغوية في أمريكا وأوربا خلال القرن العشرين فقد نشأت « كرد فعل للتوجهات البنيوية فيما أفرزته من تصورات مبالغ فيها خاصة عن اللساني الأمريكي تشومسكي وأتباعه وكذلك الغلو في الاعتماد عند وصف الظواهر اللغوية على التقابل المشهور الذي وضعه (دي سوسير) بين اللغة والكلام حيث أبعد الكلام الذي يمثل الاستعمال الحقيقي للغة »[2] فالتداولية صححت مسار البحث اللغوي السائد الذي كان يقصي الكلام من البحث اللغوي وكذا العناصر السياقية والمقامية وتجاوزت إسهامات اللسانيات الوظيفية ومساعي النحو الوظيفي من خلال تجاوز الجملة والنص بعدّهما

1 عبد القادر عواد :آليات التداولية في الخطاب ،الخطاب الأدبي أنموذجا ، مجلة علامت ، النادي الأدبي بجدة ، ج 74،م 19،2011، ص 49.

2 محمد الأخضر صبيحي : اللسانيات التداولية وأثرها في تعليمية اللغات ، مجلة منتدى الأستاذ، المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة ، الجزائر ،ع3 ، 2007،ص 40.

موضوعا للدرس إلى الاعتداد بالمقام وجعل الخطاب موضوعا للدرس اللساني ، حيث أعاب التداوليون على من سبقهم من البنيويين النظر إلى اللغة على أنها أداة للتواصل وكذلك حصرها في الجانب المتمثل في نقل المعلومات لغاية الإعلام والإخبار فقط ، وهذا يؤدي إلى عدم فهم صيغ الاستفهام والنهي والطلب والأمر على حقيقتها .

إضافة إلى ما آمن به البنيويون حيث اقتصروا في بحوثهم اللغوية على اللغة بوصفها بنية أونظام بمعزل عن سياق الاستعمال ، ولم يتجاوزوا الجملة كأعلى مستوى للدراسة اللغوية وأهملوا الظواهر الكلامية واعتبروها أشياء عارضة وفردية لا تصلح أن تكون موضوعا للبحث اللغوي في حين يعتبر التداوليون أن الموضوع الحقيقي للدراسة اللسانية هو الخطاب وليس الجملة لأن الخطاب هو الوحدة القاعدية للنظام اللغوي ، إضافة إلى ضرورة الاهتمام بالجانب التبليغي في اللغة وظروف الأداء فيها.

وهذا يرجع إلى تعدد مستويات القراءة في النص الأدبي نتيجة عدم خضوع المعنى لسلطة النظام اللغوي وقد « نشأت التداولية في ظل هذه المكاسب المعرفية اللسانية والفلسفية والبلاغية ، مما يسمها بالتنوع والثراء ولم تكن تستقر إلا في العقد السابع من القرن العشرين بعد الأعمال المذكورة سابقا لأوستين وسيرل وجرايس وغيرهم ، وتبقى مدينة لهذه التيارات المختلفة تتوسل بها في معالجة اللغة بعدّها أهم ما يميّز واقع الإنسان »[1] وقد تنوعت مصادر الدرس التداولي المعاصر وكان لكل مفهوم من مفاهيمه حقل معرفي استمد منه مادته العلمية وتصوراته عن اللغة والتواصل اللغوي « فالأفعال الكلامية مفهوم تداولي منبثق من مناخ فلسفي عام هو الفلسفة التحليلية بما احتوته من مناهج وتيارات وقضايا ، وهو أول مفهوم تداولي انبثق إلى الوجود ، وكذا مفهوم نظرية التخاطب التي انبثقت من الفلسفة الحديثة ، ومن فلسفة بول غرايس تحديدا ، وأما نظرية الملاءمة فقد وُلدت من رحم علم النفس المعرفي أو من نظرية القوالب على التحديد »[2] ويلاحظ من خلال هذا تزامن نشأة

1 خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية ، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، ص 50.

2 مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار التنوير للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1، 2008، ص 26

التداولية مع نشأة العلوم المعرفية وتعدد مشاربها خاصة الفلسفة التحليلية ، ولا يعارض أحد أن الإرهاصات الأولى للبحث التداولي كانت مع فلاسفة اللغة الذين أسسوا النواة المركزية في الكثير من الأعمال التداولية ، كما لا ينبغي تجاهل بعض إسهامات وجهود مجموعة من الفلاسفة والعلماء الذين كان لهم دور بارز في تأسيس العديد من مفاهيم التداولية وتطويرها كنظرية ونذكر منهم : "رودولف كارناب" و " باترون روسل " و"أوزلاند ديكرو"، إلا أن مساهمات " أوستين " و" سيرل" في مجال الحقل التداولي تبقى هي الفعّالة لأنها تبحث في مختلف الوسائل اللسانية التي يتوافر عليها المتحدثون كي يتوصّلوا ويبلغوا فعل الكلام صراحة أو ضمنا .

2- التداخل المفهومي بين التداولية وتحليل الخطاب :

إن الحديث عن المقاربة التداولية يشير إلى العلاقات القائمة بينها وبين الحقول اللسانية المختلفة ،فهي تنتمي إلى حقول مفاهيمية متنوعة وتشمل مستويات متعددة كالبنية اللغوية وقواعد التخاطب ، والعمليات الذهنية المتحكمة في الفهم ، وعلاقة اللغة بظروف استعمالها.وقد حصر الباحثون في المجال التداولي بعض الخصائص التي تميز التداولية عن الحقول المعرفية الأخرى فيما يلي :

«- تقوم التداولية (pragmatique) على دراسة الاستعمال اللساني ، وموضوع البحث فيها هو توظيف الدلالة في الاستعمال الفعلي من حيث هو صيغة مركّبة في مقتضى الحال الذي يولّد الدلالة .

- تدرس التداولية اللغة من وجهة نظر وظيفية معرفية واجتماعية وثقافية .

- تُعدّ التداولية نقطة التقاء مع مجالات علوم ذات صلة باللغة بعدّها أداة وصل بينها وبين اللسانيات »[1]. ومن بين أهم المجالات التي لها صلة باللغة و تلتقي معها التداولية نجد علم الدلالة (Sémantique)الذي يشاركها في دراسة المعنى على خلاف الاهتمام ببعض

1 بلقاسم دفة : إستراتيجية الخطاب الحجاجي – دراسة تداولية في الإرسالية الإشهارية العربية – مجلة المخبر : أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر ،بسكرة ، الجزائر ،العدد 10، 2014، ص 493.

مستوياته ، ونجد أيضا اتجاها يتداخل كثيرا مع التداولية ويلتقي معها في تحليل الحوار والأفعال الكلامية ، وينطلق في تحليل الكلام من البنية اللغوية والعناصر السياقية يُعرف "بتحليل الخطاب "، وهذا المصطلح يرجع في استعماله الأول إلى اللساني الأمريكي " هاريس " (Harris) « وغايته في ذلك السعي نحو صياغة مجموعة من الإجراءات الشكلية من أجل تحليل الإنتاج الكلامي المكتوب منه والمنطوق من إجراءات المنهجية التوزيعية ، ثم ظهرت هناك توجهات كبرى تسعى إلى تحليل الخطاب بمنطلقات متباينة ومختلفة منها ما يُسمى بالمدرسة الفرنسية في تحليل الخطاب ، ومنها أيضا المدرسة الأنجلو سكسونية وتفرّعت عن هاتين المدرستين توجهات كثيرة تلتقي وتتباين أحيانا وتختلف وتتناقض أحيانا أخرى [1]» فتحليل الخطاب عبارة عن نتائج من الإجراءات أراد بها الباحثون التأسيس لعلم ينظر في الأبعاد والنوايا الحقيقية لكل خطاب ينتجه الإنسان مهما كان مختلفا في موضوعه .

وقد ارتبط هذا التخصص العلمي باللسانيات لأنها تدرس اللغة التي تنتج أفكارا تختلف حسب ما تصبو إليه فتكون سياسية أو أدبية وإنسانية وإشهارية ....إلخ.

وتحليل الإنتاج الكلامي يعتمد على البنية اللغوية والوظائف السياقية من أجل إدراك عملية الفهم والتأويل ، وتعتبر شروط إنتاج الكلام وجنس القول والعناصر السياقية مبادئ عامة تأسس عليها تحليل الخطاب .

وحتى يتم الإلمام بقضايا تحليل الخطاب ورسم حدود لهذا المجال المعرفي لابد أن يتم فحص المفاهيم المتاخمة لهذا الميدان والتي تأسس عليها وهي : الخطاب – التحليل – الملفوظ والتلفظ والتي سنشير إليها من أجل ضبط مفهوم يكون أكثر دقة لهذا المجال اللساني التواصلي الجامع تحديدا وتحليلا والذي لاقى الباحثون اضطرابات واختلافات متشعبة في ضبط مساره ومفاهيمه.

1 عمر بلخير : مقالات في التداولية والخطاب ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص09 .

1- مصطلح الخطاب : إن مصطلح الخطاب غير ثابت نظراً لإرتباطه بتصورات مختلفة للغة ، فتحديده مرتبط بالنص أحيانا وهناك من يربطه بالملفوظ ، ونجد من يفصل بينه وبين اللغة التي تُعتبر نظاما ويدرجه في استخدام اللغة ضمن سياق خاص.فالخطاب « ملفوظ متعلق باللغة المكتوبة باعتبار عملية التواصل وما تقتضيه من استعمال لغوي متواضع عليه له دلالة معينة بين المستعملين له ، أي أنه نص؛كون النص هو الملفوظ ، والخطاب أيضا تلفظ مرتبط باللغة المنطوقة ، إذ يتطلب متكلما ومستمعا وهدفا تأثيريا بكيفية معينة »[1] ويعني هذا أن الخطاب يمكن وصفه بأنه استراتيجية للتلفظ ، أو هو مجموعة من الأنظمة التوجيهية والتأثيرية والنفعية التي تتقاطع فيما بينها.

والخطاب يتنوع بحسب الجانب الذي يُحصر فيه « هناك من يرى في الخطاب نفسه أنه إذا كانت اللغة هي نظام تشترك فيه مجموعة لغوية ما فإن -على عكس ذلك- هو استعمال محصور لهذا التنظيم ، كأن نتحدث عن الخطاب الإسلاموي أو الاشتراكي ، وقد نقصد به في نفس هذا الإطار نوع الخطاب الصحفي ، الإداري ، ونعني به أيضا الإنتاجان الكلامية الخاصة بمجموعة من المتكلمين خطاب الممرضات ، خطاب الشباب ، أخيرا نقصد به أيضا وظائف الكلام ، الخطاب السّجالي ، التّعاليمي ...»[2] هذا التعريف يبرز تنوع الخطاب بحسب الإنتاج الكلامي الخاص بمجموع المتكلمين حسب تخصصهم وهو أيضا «ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل تكوّن مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية من العناصر »[3] فالجملة وحدة صغرى للخطاب وهي التي تشكّله بالتجاور مع بقية الوحدات الأخرى والتي تجتمع في أطراف الخطاب ، الطريقة ، الهدف ، فالخطاب ملفوظ طويل أو هو مجموعة متتالية من الجمل.

---

1 عمار لعويجي : تداولية الخطاب الشعري ديوان أبي فراس الحمداني أنموذجا ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة باتنة، الجزائر، 2012/2011 ، ص12.

2 عمر بلخير : مقالات في التداولية والخطاب ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص10.

3 عمار لعويجي : تداولية الخطاب الشعري ديوان أبي فراس الحمداني أنموذجا ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة باتنة، الجزائر، 2012/2011 ، ص11.

« وإذا كان الخطاب مرادفا للملفوظ أو القول فإنه في تحليلاته لا يقف عند حدود الجملة ، ولكن يقتحم ما وراءها وما بعدها أي الاهتمام بمختلف مستوياتها وبذلك تنتقل من الجملة ومن ميدان اللغة كنظام من الأدلة إلى عالم تُعتبر فيه اللغة وسيلة للتواصل ، والعبارة هي الخطاب l'expression est le discours. »[1] فالخطاب لا يقف عند حدود الجملة ولكنه يتعدّى ذلك ويكون اهتمامه باللغة كبعد فردي أي كلامي وليس الإهتمام باللغة كنظام له قيم ثابتة . « ويرتبط الخطاب بالسياق الذي تحدده ثقافة المجتمع فبانعدامه يصبح التلقي من الأمور المستحيلة ، والخطاب لايتحدّد بجملة أو بمجموعة من الجمل بغضّ النظر عن كونها مكتوبة أو شفوية (منطوقة) داخل حيّز ثقافي معيّن»[2] لأنه(الخطاب) وحدة أعلى من الجملة وفحواه يحدّد الأداء والإنجاز في سيّق معيّن .

وفي حالة انفصال الخطاب عن السياق الذي أُنجز فيه ينعدم التواصل والتلقي، فهو لايكتفي بالعناصر اللسانية وإنما يستدعي ماهو غير لساني من أجل تشكيل بنية كلّية للكلام يحدّدها سياق معيّن ، وتنتمي إلى ذات معيّنة « فالخطاب في لفظه شكل لغوي في سياق تفاعلي أو تواصلي ، فإذا أجتزئ من سياقه التواصلي صار نصا كنص الكتاب والأثر المدون ، فالفرق بين الخطاب والنص أن الأول يزيد على الثاني بالتواصل والتفاعل بين الطرفين وأن يكون موجها من المتكلم "أنا" إلى المخاطب " أنت" مباشرا أو التفاعل أو تعريضا»[3] أي أنه يفرض وجود متكلم ومستمع يتفاعلان في تواصلهما ضمن سياق محدّد .

وفي حالة غياب السياق يتحوّل الخطاب إلى نص Texte الذي يشترك معه في خصائص ويختلف عنه في خصائص أخرى إذ « يشترك النص مع الخطاب في أنهما يتجاوزان الجملة من حيث البنية والمقصد وكذلك يعتمدان على البنية اللغوية والوظائف السياقية لإدراك عملية الفهم والتأويل ، ويختلفان من حيث شروط الإنتاج وجنس القول وعناصره

1 حمو الحاج ذهبية : لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2 ، ص152.

2 المرجع نفسه ، ص154.

3 محمود عكاشة : تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة – دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم – دار النشر للجامعات ، القاهرة ، ط1 ، 2014 ، ص 18.

السياقية ، وهي مبادئ عامة تأسس عليها تحليل الخطاب ولسانيات النص مع بعض الخصوصيات المميزة لكل علم منهما »[1] ومعنى هذا أن فهم الخطاب يرتكز أساسا على البنية اللغوية والعناصر السياقية وغالبا ما يرتبط بما هو منجز من الكلام بينما ينحصر النص في كل ما هو مكتوب لأن الخطاب يعتمد على « التبادل الكلامي والمبدأ التفاعلي والإقناعي والحجاجي بهدف الإفهام والتواصل وتوجيه المتخاطبين نحو القصد المطلوب تبليغه »[2] أي أن تحديد مفهوم الخطاب يرتبط بالمعنى البراغماتي وهو يتصل بنظريات تحليل الخطاب.

وقد أدى تعدّد مناهج الدراسات اللغوية إلى عدم استقرار مصطلح الخطاب الذي ناله التعدد والاختلاف ، فالمنهج الشكلي يصف الخطاب بأنه وحدة لغوية أكبر من الجملة لذا وجب تتبع العناصر التي تساهم في اتّساقه وانسجامه ، وتعالق وحداته وتوافقها أما المنهج الوظيفي « الذي يولي عناية للوظائف اللغوية التي يحققها المتكلم من أجل التعبير عن مقاصده وتحقيق أهدافه »[3] دعا إلى ضرورة مراعاة السياق وعناصره التي تشارك في إنتاج الخطاب وفهمه ورصد معانيه.

أما في المنهج التداولي فقد اهتم التداوليون « بالاقتراب من الخطاب بوصفه موضوعا خارجيا أو شيئا يفترض وجود فاعل منتج له وعلاقة حوارية مع مخاطب أو مرسل إليه ومن الوجهة الألسنية تعدّ فكرة الفاعل ضرورية لمتابعة تحولات اللغة في الخطاب ففي علم اللغة نجد أن تصور الفاعل المنتج للخطاب تقترب به ملاحظة حضوره في الخطاب نفسه ، فمحلل الخطاب يعدُّ الكلمات والعبارات والجمل التي تظهر في المدوّنة النصّية لخطاب ما، دليلا على محاولة الباث توصيل رسالة إلى المتلقي مما يجعله يُعنى على وجه الخصوص ببحث كيفية وصول متلقٍ ما إلى فهم الرسالة التي يقصدها المنتج في مناسبات معيّنة ،

---

1 خليفة الميساوي : المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم ، منشورات ضفاف ، بيروت ، ط2،2015، ص183.

[2] المرجع نفسه ، ص179.

[3] سامية شودار :الخطاب الشعري في أطلس المعجزات ، دراسة تداولية ؟، ص09.

وكيف أن متطلبات المتلقي المفترض تؤثر في خطاب المنتج »[1] فالخطاب من وجهة نظر تداولية مرتبط بالفعل التواصلي ومناسبة الجمل والخطابات للسياقات التواصلية التي تُنجز فيها ، ووصف الأشكال اللغوية دون إغفال المحيط الذي وردت فيه ، كما لا يجب ألا ينفصل الخطاب عن القصد التواصلي للباث وزمان التواصل ومكانه .

ويبرز الفرق بين الخطاب والنص انطلاقا من أنّ « النص هو شكل الكلام أو بنيته الثابتة والخطاب التفاعلي والمتحرك منه ، ويدخل فيه الجانب اللغوي وغير اللغوي والنص يرتبط بالكتابة والشكل الثابت للكلام ، إنه شكل تجريدي يُقصد به شخص أو مكان أو فعل أو زمان ويدرس عادة في إطار قواعد اللغة والمعاجم اللغوية مثل : ضرب زيد عمرا فليس المقصود بالأمر زيد من الناس ، ولا يعني ذلك تحقق حدث الضرب في الواقع ، فهو نص تجريدي مكون من بنية لغوية ، أما الخطاب فهو البنية اللغوية إضافة إلى المشاركين في الاتصال والقصد والمكان والزمان مثل : ذكر متحدّث عن رئاسة الجمهورية أن الرئيس قام صباح اليوم بزيارة ميدانية إلى بعض مواقع القوات المسلحة وشاركه عدد من الوزراء وصاحبه فيها وزير الدّفاع . هذا يُسمى خطابا وليس نصا ولأنه حدّد المصدر والشخص والمكان والزمان والحدث ، وطبيعة العمل فقد تضمّن الخطاب الجانب اللغوي وغير اللغوي المتمثل في السّياق الخارجي»[2] فالنص كلام تجريدي مرتبط بكل ما هو مكتوب بينما الخطاب بنية لغوية مرتبطة بمجموعة من القواعد والشروط أهمها القصد ، الزمان والمكان والحدث والشخصيات ، ويتضمّن الجانب غير اللغوي من خلال ربط بين السياق الاجتماعي واللغة ، ويتحدد النص على أنه انجاز لغوي يوجهه الكاتب لقارئ ضمني.

وقد تعدّدت مفاهيم الخطاب بتعدد المناهج والحقول المعرفية التي تناولته ، وكل حقل معرفي أعطاه صبغة خاصة به مما أكسبه التعدد والاختلاف حول مفهومه وخصائصه .

---

[1] مؤيد عبيد آل صوينت : الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي ، أطروحة دكتوراه ، قسم اللغة العربية، كلية الآداب ،الجامعة المستنصرية ، العراق ،2009 ، ص08.

[2] محمود عكاشة : لغة الخطاب السياسي –دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال –مطابع للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ص 41.

وأمام هذه الامتدادات الواسعة يتفق كثير من المستعملين لمصطلح الخطاب على مجموعة من الخصائص العامة للخطاب نذكر منها :

« – إن الخطاب متتالية أو (وحدة لغوية) أكبر من الجملة وتتسم بالكلية.

– يخضع الخطاب لنسق دلالي خاص به ومقنن ،كما في الشعر والرواية والسرد ...إلخ.

– الاتصال قيمة عليا للخطاب .

– تمثل القصدية الركن الأبرز في تجليات الخطاب ومفهومه.

– يمثل الأثر الاجتماعي محورا أساسيا لكل خطاب ، فهو يقصد التأثير في السامعين وتغيير معتقداتهم.

– لا وجود لحدّ أعلى للخطاب ، فالخطاب نظام يتوافر على تيمات (تفوهات) دلالية بمعزل عن الطول والقصر.»[1] وتجدر الإشارة إلى أن التباين في مفهوم الخطاب يرجع أساسا إلى كونه ينتمي إلى أكثر من حقل معرفي في الفكر المعاصر فمفهومه عند اللسانيين يختلف عن معناه لدى المناطقة والباحثين في التحليل التواصلي .

وقد ارتبط الخطاب بدراسة القول الموجه المقصود من المتكلم نحو المتلقي لإفهامه القصد من الكلام صريحا مباشرا أو كناية وتعريضا في سياق التخاطب لذلك ركّزت اللسانيات الحديثة على ضرورة دراسته وتحليله وفهم آلياته ، فأصبح تحليل الخطاب يمثل مجالات تطرح إشكاليات عميقة للبحث في مجالات الخطاب المتعدّدة.

2– مصطلح التحليل : يعتبر هذا المصطلح إجرائيا « ويستدعي في ممارسته مصطلحات عديدة ، بإجرائه عملية إسقاطيه على ما يُسمى الخطاب (Discours) إذ تسعى هذه العملية إلى تفكيك الخطاب المحبوك المتماسك (شكلا ودلالة) المكتوب والمسموع لإلى بنيات جزئية فاعلة ومتفاعلة : داخلية وخارجية من أجل معرفة مختلف المرجعيات الخطابية (الأسس المعرفية والخلفية والأطر النظرية للخطاب) التي ساهمت في تشكّله ، بمعرفة

[1] مؤيد عبيد آل صوينت : الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي ، أطروحة دكتوراه ، قسم اللغة العربية، كلية الآداب ،الجامعة المستنصرية ، العراق ،2009 ، ص05.

مضامينه – محتوياته– غاياته – معاييره–فضائه – بنياته، ليتحقق التحليل »[1] ويمكن القول أن عملية التحليل تتّسم بالتشابك والتعقيد وتتطلب معرفة عميقة بالتخصص من أجل الوصول إلى أغوار الخطابات المتنوعة وتأويلها .

3– الملفوظ والتلفّظ :

« الملفوظات هي الألفاظ في حال التلفظ بها ، أي في حال الاتصال والتواصل بها ومن خلالها أو في حال العلاقة المباشرة معها ومع عالم التلفّظ من خلالها »[2] فالملفوظات لها نسق ينظّمها ، وهي تتموضع في إطار بنية تربطها علاقة ما ببنية خطابية كبرى ، أي أنّ الألفاظ تنتظم في ملفوظات مُنجزة في إطار علاقات زمانية وتعاقبية متعدّدة تنفتح على دلالات متنوعة وليست مُفردة معزولة عن بعضها البعض.« أمّا الملفوظية Lénonciation عند الغرب فهي اتجاه جديد يهتمّ بدراسة اللغة وأوّل من أشار إلى هذا المصطلح شارل بالي charle Bally حيث أُعتبرت أسلوبيته هي نفسها الملفوظية في مرحلة متقدّمة أي لم تكتمل باتجاه قائم بذاته »[3] فالملفوظية في أوّل الأمر كان لها بُعد أسلوبي ، وسرعان ما ارتبطت بتفسير علاقة المتكلم بلغته بفضل جهود اللساني الفرنسي " إميل بنفنيست" "Emile Benveniste الذي حدّد الخصائص اللسانية للملفوظية من خلال تطويره لثنائية دي سوسير (اللغة/ كلام).

فالكلام هو الذي يخرج اللغة إلى التجلي لأنها كامنة في نظامها ، وقد أولى الباحثون أهمية دراسة الكلام ، وضرورة عدم المكوث في الطرح السوسيري الذي أبعد دراسته ،خاصة و أنه يُعتبر الجانب الفردي من اللغة ومن بين الباحثين الذين كانوا سباقين في هذا المجال

---

[1] نعيمة سعدية :تحليل الخطاب والإجراء العربي –قراءة في القراءة– أشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب ، جامعة ورقلة، الجزائر ص 78.

[2] عبد الواسع الحميري : ما الخطاب وكيف نحلّله ، مجد المؤسّسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ،ط2، 2014، ص19.

[3] خديجة محفوظي : بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي ، مذكرة ماجستير ، قسم اللغة العربية ،كلية الآداب واللغات ، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر ، 2007/2006، ص6.

نجد « أندري مارتيني A.Martinet الذي أولى أهمية للفظ ويعتبر معالجته من بين الطرق التي تؤدي إلى فهم اللغة ، يقول : إن هذا التمييز بين اللغة والكلام قد يؤدي إلى الاعتقاد أن نظام اللغة ونظام الكلام مستقلاّن عن بعضهما البعض ، والحال أن نقتنع ونسلّم أن الكلام هو الذي يجسّد نظام اللغة ولا يمكن التوصل إلى معرفتها دون معالجة الكلام »[1] إن هذا الطرح الذي دعا إليه مارتيني والذي يأخذ الكلام بعين الاعتبار ويدعو إلى ضرورة الاهتمام به يُهم من خلاله ضرورة النّظر إلى اللغة من خلال علاقتها بالذّات وبالآخرين أي العلاقة بين مستعملي اللغة والمتكلمين بها .

والمقصود هنا هو النظر إلى اللغة بوصفها خطابا يصدره متكلم ويتلقّاه مستمع وهناك تفاعل بينهما ، وقد نتج عن هذا المنحى الجديد في البحث اللغوي ظهور مجموعة من النظريات الحديثة منها نظرية التلفظ التي أولت عناية كبيرة لبعض العناصر التي تشكّل أساس الخطاب وتجاوزت البحث البنيوي الذي ينحصر في الجملة .

« ويعرف بنفنيست الملفوظية بقوله : هي وضع اللغة موضع اشتغال بفضل الاستعمال الفردي ويُستنتج من تعريف الملفوظية أن دراسة اللغة تكون ضمن العملية التواصلية ، إذ تتحقّق بفضل استعمال اللغة بين المتكلم والسامع في سياق ما للوصول إلى هدف إبلاغ المعنى في هذه اللغة المستعملة »[2] فالملفوظية تهدف إلى إبلاغ المعنى من خلال استعمال الألفاظ في سياق معين ، فهي تعتمد على مفاهيم تداولية في تفسير علاقة المتكلم بلغته ومحاوريه . « فالمتكلم بتملكه للجهاز الشكلي للغة l'appareil formel de langue يعلن وضعيته كمتكلم وفور إعلان نفسه متكلما فإنه ينشئ الآخر الذي يتواصل معه مقابلا له مهما كانت درجة حضور هذا الأخير ، فكل تلفّظ سواء أكان صريحا أم مضمرا فإنه

[1] حمو الحاج ذهبية : لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2 ، ص85.

[2] خديجة محفوظي : بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي ، مذكرة ماجستير ، قسم اللغة العربية ،كلية الآداب واللغات ، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر ، 2007/2006، ص6

يلتمس ويتطلب متلقّيا »[1] أي أنّ عملية التلفظ بنوعيها صريحة كانت مضمرة تستدعي ضرورة وجود متلقي يتواصل مع المتكلم الذي يُعتبر مرسلا يوجّه اللغة ويتقاسمها مع المرسل إليه من خلال اختيار وانتقاء مجموعة من العناصر المتوفرة في نظام اللغة والتلفظ بها وفق نظام يتم فيه مراعاة مجموعة من الشروط.

فالتلفظ إنجاز فردي وهو يتحدّد بالنسبة للغة كفعل يملكه المتكلم وهو« يتعلق بفعل إنجاز الملفوظ (fabrication de l' énoncé) وبالنشاط المتعلق بتوظيف اللغة في مقام محدّد ، إنه حدث لساني ، والحدث يتطلّب مجموعة من شروط التجلي ، إنه موضوع لغاية أو قصد ، ويعزى إلى فاعل ، ويُنجز في مكان معيّن وزمان محدّد »[2] أي أنه يتطلب سياقا محدّدا وإنجازه يكون مرتبطا بشرطي الزمان والمكان ، ويُوضع وفق مقصدية يريدها المتكلم.

وإعادة إنتاج الملفوظات أثناء تلفّظها لا يمكن أن يؤدي إلى المعنى نفسه ، حتى وإن كانت تحمل نفس المواصافات فإنها لا تحمل نفس المعنى فلكل ملفوظ المعنى الخاص به إلا ما كان يحمل حقيقة ثابتة لأن مثل هذه الملفوظات لا يخضع لتأويل آخر دون الحقيقة الثابتة المستقلة التي يُعبر عنها .

إلا أن ملفوظات أخرى تحمل تأويلات مختلفة حسب المقام الذي أُدرجت فيه « فالتلفظ نظرية تتناول بالدراسة بعض العناصر اللغوية التي لا تُعرف دلالتها المرجعية إلا من خلال السياق وتمثل آلية وعملية تحول اللغة إلى خطاب وتتوافر بضمائر الشخص ، الزمان والمكان (هنا والآن) عناصر لا تحيل على شيء في العالم ، ولا على أحوال موضوعية في الزمان والمكان ولكن تحيل إلى آنية الخطاب الذي ترد فيه ، تُمكن المتكلم من إسناد اللغة لصالحه بمجرّد نطقه بلفظه أنا ، وتنصيبه شخص آخر أمامه يمثل مخاطبه »[3] واهتمام نظرية التلفظ بالعناصر اللغوية يقتضي معرفة دلالة الملفوظات من خلال سياقاتها الذي

---

[1] قدور عمران : البعد التداولي في الخطاب القرآني الموجه لبني إسرائيل ، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب واللغات ، جامعة الجزائر ، ص19.

[2] المرجع السابق، ص 21.

[3] حمو الحاج ذهبية : لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2 ، ص97.

أنشئت فيه ، والتلفظ هنا يُعتبر حدثا يمتلكه المتكلم ليصنع الأقوال ، وهو يحتاج إلى مستمع يتحوّل بدوره إلى متكلم بفعل خاصية التناظر في الخطاب ، لأن الخطاب متبادل بفعل شروط معيّنة تحققُ عملية التلفظ كالزمان والمكان والسياق .

والعملية التلفظية تقتضي وجود عنصرين أساسين هما المتكلم والسامع حيث يقيم المتكلم علاقة مع مخاطبه ومع ملفوظه وهذا هو الذي يتجسّد في الأحداث الكلامية ، والشيء الغالب في هذه العملية هو التنظيم الذي يبنيه المتكلم من معطيات زمانية ومكانية حتى يخص نفسه بالحديث ويشكّل الحيّز الخطابي الذي يفرض وجود شخص آخر حتى يكتمل الحديث ، إضافة إلى مرجعية الملفوظ التي تُعتبر هي المتكلّم لأن الكلام لا يُنسب إلا لقائله ،« أما مقام التلفظ la situation d'énonciation فهو الذي يحيل على الجهاز الشكلي للتلفّظ ، ويتعلّق بعملية الإخراج اللغوي ويتحدد بعلامات لغوية تكون عبارة عن ذوات لسانية (des êtres linguistique) هذه الذوات الورقية محددة بمصطلحي : المتلفظ والمستمع ، فالراوي في الملفوظ الأدبي مثال عن المتلفظ ، والمروي له متلق »[1] فالنص المكتوب بدوره يحتاج إلى متكلم ومستمع لأن اللغة المكتوبة تتحوّل إلى خطاب يكون المتلفظ فيه هو الراوي أو الكاتب والمستمع هو القارئ أو المروي له.

وعليه فإن الملفوظية مادامت تُعنى بدراسة اللغة ضمن العملية التواصلية ، فإنها تضع اللغة موضع الاستعمال لأنها لا تتحقق إلا بفعل الاستعمال بين المتكلم والمستمع في سياق محدّد بُغية الوصول إلى هدف إبلاغ المعنى الكامن في هذه الملفوظات المستعملة .

وعن الفرق بين الملفوظ والتلفظ فقد ميّز بنفيست بينهما « فالتلفظ في نظره دائما هو حدث Acte التكلّم بنفسه أو النشاط المتحقق بواسطة الكلام أو إنتاج الكلام / الملفوظ أما الملفوظ هو نتاج التلفظ أي مجموع الأقوال المنجزة »[2] أي أن التلفظ يعني إنتاج الكلام وممارسته بينما الملفوظ هو ما ينتج عن التلفظ أي الكلام المنجز ، والتلفظ هو انتقال اللغة

[1] قدور عمران : البعد التداولي في الخطاب القرآني الموجه لبني إسرائيل ، ص 26.

[2] خديجة محفوظي : بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي ، ص6.

من مستوى النظام إلى مستوى الممارسة الفردية ، بينما الملفوظ هو سلسلة الجمل المنطوقة في سياق التلفظ .

ويظهر الفرق بين الملفوظ والجملة انطلاقا من « أن الجملة عبارة عن الوحدة اللسانية المجرّدة منظورا إليها في غياب أيّ ارتباط بالسّياق ، أما الملفوظ فعبارة عن الجملة في حال استخدامها في سياق ، أو منظورا إليها من زاوية علاقتها بسيّاق استخدامها »[1] فالجملة عبارة عن وحدات لسانية مفصولة عن السيّاق وكلّ ما يتّصل بها من أغراض الكلام ، ولا يمكن أن نقول عن جملة أنّها ملفوظا إلاّ حين يتمّ استعمالها في سياقات محدّدة ترتبط بمقاصد التّلفظ وأغراضه ، وتحمل معارف مشتركة بين المتلفّظ والمخاطب ، فالطبيعة المجرّدة من صفات الجملة لأنها تندرج ضمن اللغة الواصفة ، أما الملفوظ فهو الجمل المباشرة التّي يستخدمهاالمتكلّمون في حياتهم اليومية ، أي أن الملفوظ يتعدّى الجملة إلى مستوى تداولي .

وتعتبر الملفوظية موضوعا أساسيا في التداولية وتحليل الخطاب وتسعى إلى توسيع مجال « اللسانيات السوسيرية التي تُعدّ في نظرها لسانيات غير ملفوظية وتطورت مع بنفنيست وتابعيه منطلقة من تطوير جاد للثنائية السوسيرية (لسان / كلام) ومستندة إلى المفاهيم التداولية الجديدة في شرح علاقة اللغة بالمتكلّم »[2] فهي تبحث في تأويل الملفوظات لتكون بديلا لعلم الدلالة.

والتلفظ هو الخاصية المميزة لظاهرة الخطاب ، وشكل البحث في لسانيات التلفظ ذروة الإهتمام اللساني بمفهوم الخطاب ، فهذا الأخير لم يظهر إلا في إطار استقلالية فرع جديد من اللسانيات هو لسانيات التّلفظ ، والتي أرسى معالمها اللساني " إميل بنفنيست " " Emile Benveniste " الذي تجاوز في دراسته المفهوم التقليدي للجملة ، وصاغ مفهوما جديدا هو (التّلفظ) l'énonciation وعبّر عن فهمه للظاهرة الخطابية بإعطاء بعد أوسع لفهم

---

[1] عبد الواسع الحميري : ما الخطاب وكيف نحلّله ، مجد المؤسّسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ،ط2، 2014، ص22.

[2] خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية ، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2، 2012، ص 70.

الخطاب من خلال خاصّية التّلفّظ التي تفرض وجود متكلّم وسامع ومقصدية التأثير بينهما. لأن الخطاب يتشكل بفعل الكلام ، ويتحدّد ضمن المحادثة على أنّه بنية جماعية أو تحقُق تفاعلي. أي أن فعل الكلام يستلزم خطابا .

فالكلام لكي يُتوجه يستلزم وجود المخاطب في خطاب المتكلم بصفة صريحة وأحيانا ضمنية ، والتلفّظ يقتضي فعل إنتاج الملفوظ ، وتنوّع كيفيات الأداء التلفّظي يعني تنوع الملفوظ (الخطاب) ودلالته.

وبهذا ينحصر البحث اللغوي في نظرية التلفظ في دراسة الوحدات اللغوية التي تجعل المتكلّم يرتبط بالواقع من خلال تفاعل العناصر اللغوية بالعوامل الخارجية التي تُعتبر شروطا تساهم في انتاج الخطاب .

ويُعتبر المخاطب متلفّظا عندما يقدّم خطابه بطريقة شخصية متصلة بذاته ويتجلّى فيه التّعبير عن رأيه ويقدّم وجهات نظره الخاصة به . ويكون الخطاب مبنيا على التفاعل الذي يتأسس على مدى قوّة المخاطب على إيصال رسالته ومدى تأثيره في المتلقّي في مواقع التصريح والتلميح ويستعين بمجموعة من الافتراضات المسبقة التي يتقاسمها المخاطب والمتلقي وهذا الأخير يستعين بها حتى يؤوّل أقوال مخاطبه وفق ما يمتلكه من قدرات تساعده على فهم الصّيغ اللغوية وكشف الغرض الحقيقي لأساليب المخاطب من توكيد ونفي وإلحاح وتطبيق هذه العمليات هو ما يُعرف بأسس نظرية التّلفظ .

وفي حالة كون الخطاب مرادفا للملفوظ فإنه في تحليلاته « لا يقف عند حدود الجملة ، ولكنه يقتحم وراءها وما بعدها أي الإهتمام بمختلف مستوياتها وبذلك تنتقل من الجملة ومن ميدان اللغة كنظام من الأدلّة إلى عالم تُعتبر فيه اللغة وسيلة للتواصل والعبارة هي الخطاب»[1] وهذا يؤدي إلى القول أن مجال البحث في لسانيات التلفظ يقتصر على ما وراء الجملة أي البحث في الخطاب.

[1] حمو الحاج ذهبية : لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، ص 152.

وفي تأثر تحليل الخطاب بمباحث نظرية التلفظ يسعى محللو الخطاب إلى « ربط الملفوظات بسياقاتها ، وفي أغلب الأحيان يُحدّد تحليل الخطاب بهذه الخصّيصة غير أنّه لا يدرس الملفوظات بشكل محايث immanent لكي يربطها بعد ذلك بالمعايير المختلفة (الخارجية) السياقية بل على العكس يسعى إلى الإحاطة بالخطاب بوصفه نشاطا غير مفصول عن هذا السّياق »[1] .

وعن نشأة تحليل الخطاب يورد الباحثون أن بداية ظهوره كانت في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر « وقد ظهر اتجاهان في التفكير اللساني لتحليل الخطاب يتجاوزان حدود الجملة في التحليل اللغوي :

– الإتجاه الأول يتمثّل في الأعمال التي قام بها " كينث بايك" (pike) وزملاؤه حيث وجدوا أن تحليل الخطاب أساسي في تطور حقل الأنثروبولوجية (anthropology) واعتمدوا في تحليلهم اللغوي على استنتاج طبيعة ومعاني الكلمات والجمل في سيّاق استخدامها الاجتماعي ويجمع هذا الإتجاه بين العوامل اللغوية والعوامل غير اللغوية .

– الإتجاه الثاني : ويمثّله هاريس ، وقد قدّم منهجا لتحليل الخطاب المترابط connected (منطوقا ومفهوما) وقد استخدم فيه إجراءات اللسانيات الوصفية descriptive linguistics ليكتشف بها بنية النص structure of the text وتجاوزوا في ذلك :

– قصر الدراسة على الجمل والعلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة .

– الفصل بين اللغة laguage والموقف الإجتماعي social stuation »[2]فعدم تجاوز الدراسات اللسانية الجملة كوحدة للتحليل ، وعدم اهتمام اللسانيات البنيوية بعلاقة اللغة بالموقف الخارجي وظروف إنتاج النص هو المنطلق الذي أسّس لميلاد تحليل الخطاب .لذلك أُعتبر تحليل الخطاب امتدادا طبيعيا للسانيات وتطويرا للبحث اللساني ، وقد ساهم في

---

[1] دومنيك مانغنو : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، تر : محمد يحياتن ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1، 2008، ص 27.

[2] محمود عكاشة : لغة الخطاب السياسي – دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال – دار الطباعة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ص41.

ظهوره فروع معرفية مختلفة وإذا كان موضوع اللسانيات وحدودها هو الجملة فإن تحليل الخطاب يبدأ خارج نطاق الجملة لذلك اقترح اللّسانيون المنخرطون فيما أُصطلح على تسميته بتحليل الخطاب « إظافة وحدة لسانية جديدة هي الخطاب ففي رأيهم لا تُختزل الظواهر الخطابية في تركيب ظواهر تتدخّل في مستوى الجملة أو القول ، فالخطاب لا يمكن حينئذ أن يُختزل في تسلسل جمل أو الأقوال التي تركّبه إنه كيان قائم بنفسه ووحدة تتطلّب تحليلا مخصوصا »[1] فالخطاب ليس هو الجملة ولا تسلسل مجموعة من الجمل وإنما هو وحدة أعلى وتستلزم تحليلا خاصا ، وقواعد الخطاب التي يتقيّد بها هي التي تضمن انسجامه وهذا ما دعا الباحثين إلى تأسيس لسانيات جديدة يكون محورها الخطاب (النص) وحجّتهم في ذلك أن اللسانيات التقليدية تقف عند حدود الجملة ولم تتجاوزها.

وفي تعامل محللي الخطاب مع الخطابات المتنوعة فإنهم يركزون على الاتصال وما يحيط به في الخطاب لأن هذا الأخير يمثل « نقطة ارتكاز للخطاب ، فلا يقف تحليل الخطاب عند حدود التفاعل اللفظي ، وإنما يتعدّاه إلى تناول شمولي يرصد مجمل عناصر العملية الاتصالية وظروف استعمالها ، فهو يُتابع آليات الإنتاج والاستعمال والتلقي والتأثير بما فيها سياقاتها الاجتماعية والمعرفية وهذا الفهم الشمولي يُثمر عن مقترب متمازج يستعير أدوات علوم وحقول معرفية متعدّدة بما يُهيّئه لدراسة مختلف جوانب العملية الاتصالية »[2].

وقد شهد تحليل الخطاب تحوّلات عديدة فهو لم يقتصر على دراسة الخطابات الدينية والسياسية والأدبية بل تعدّى ذلك إلى حقول أخرى من المعرفة العلمية و الممارسة الإنسانية « وفي الوقت الراهن فإن محللي الخطاب يدرسون تقريبا كل أوجه أنشطة التواصل الإنساني الشخصي والمؤسساتي والجماهيري في جميع السياقات البشرية تقريبا على امتداد أرجاء العالم المعروف ، هذا الاتساع الهائل في حقل تحليل الخطاب توازي مع إعادة صياغة

---

[1] مؤيد عبيد آل صوينت : الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي ، أطروحة دكتوراه ، قسم اللغة العربية، كلية الآداب ،الجامعة المستنصرية ، العراق ،2009 ، ص09 .

[2] المرجع السابق ،ص 11.

مستمرة لعلاقاته البينية مع العلوم الإنسانية الأخرى »[1] ، فتحليل الخطاب مقاربة تأخذ مفاهيمها من حقول معرفية مختلفة ويهتم بالمفاهيم اللسانية والتنظيم السّردي للخطابات الشفهية والمكتوبة التي يدرسها . ويعتمد على أدوات نظرية وتحليلية من المقاربة البنيوية وما بعد البنيوية .

ويعتني كذلك بدراسة الخطابات في ضوء الظروف الخارجية ، والمؤثرات المباشرة عليه. ومهما « كانت التطورات التي طرأت على تحديد مفهوم الخطاب والتقدّم الهائل الذي وصل إليه تحليل الخطاب في الوقت الذي ظهرت فيه اختصاصات أخرى تريد أن تتخذ من الخطاب موضوعها الرئيسي ، والمشكل الذي يلازم الخطاب وتحليله هو اعتبارهما غريبين في حقل اللسانيات وكونهما ينتميان لكل المجالات والتخصصات لهذا فإن إعتماد تحليل الخطاب على اللسانيات ومحاولة الانطلاق منها للإرتقاء إلى تخصّص جديد يبقى مرهون بتحديد موضوعه واستقلاليته ، لأنّه كما يرى "جنيت" فإن الكلام لا يمكن أن يحاكي إلا الكلام ، والخطاب لا يمكنه أن يحاكي إلا الخطاب أو بالأحرى ، فالخطاب لا يمكنه أن يحاكي بدقّة إلا الخطاب نفسه أو أن الخطاب يحاكي نفسه »[2] إذًا فموضوع تحليل الخطاب هو الخطاب ودراسة وظائفه الاتصالية لتحقيق الاهتمام المتواصل بقضاياه لأنه يُعتبر الحدث الاتصالي للغة في فعل أدائه التداولي.

لقد أسهمت التداولية بكل نظرياتها في إثراء مفاهيم تحليل الخطاب « ومن بين فروعها الأساسية نظرية أفعال الكلام ، ومنها أيضا الدراسات التي قدمّها مجموعة من اللسانيين في أبحاث التّلفظ مثل : " اميل بنفنيست" و " أنطوان كوليولي " والتلفّظ الأدبي عند " ميخائيل باختين" كما تُعدّ أبحاث ب. غرايس P.grice و أ. ديكرو O. Ducrot في قوانين الخطاب من أهم الأدوات التي قدّمتها التداولية لتحليل الخطاب هذا إضافة إلى أبحاث الحجاج ابتداء

[1] عماد عبد اللطيف : تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية ، مجلة فصول دراسات نقدية ، الالهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2013/2012 ،العدد84/83 ، ص 509.

[2] عليمة قادري : التداولية وصيغ الخطاب من اللغة إلى الفعل التواصلي ، الملتقى الدولي الخامس السيمياء والنص الأدبي ،15-17نوفمبر2008، جامعة بسكرة ، الجزائر ،ص 612.

من البلاغة الجديدة عند بيرلمان Perelman إلى أبحاث ديكرو وأنسكومبر وغيرهم »[1] فكلّ البحوث والنظريات الخاصة بالدرس التداولي الحديث ساهمت بشكل كبير في إثراء تحليل الخطاب بالأدوات المنهجية والمصطلحات النقدية التي أُستخدمت في تحليل الحوارات والنصوص .

وأصبح تحليل الخطاب يبحث في التراكيب اللسانية المنسجمة ومضامينها الدلالية بالنظر في السّياق التواصلي لها وكيفية تفاعله مع المحيط الاجتماعي، ويظهر التداخل المفهومي بين التداولية وتحليل الخطاب أساسا في مجموعة من النقاط أهمّها :

« 1- الاهتمام بدراسة السيّاق بشكله العام أي المقام التواصلي والمعارف المشتركة بين المتخاطبين ، ومن المهم في تحليل الخطاب بيان قيمة المقام التواصلي الذي جرى فيه الخطاب وتحليل الأفعال الكلامية الموجودة فيه وصولا إلى الأفعال الكلامية التي لها دور أساسي في تحديد جنس الخطاب ، كما تدرس بعض الأدوات مثل : الإشاريات والمبهمات ومضمرات القول وحضورها في الخطاب ، مع التّركيز على دراسة الملفوظات الحجاجية وتوظيفاتها في السياقات التواصلية.

2- النظر في الخطاب أو النص باعتباره تواصلا إنسانيا وإذا كانت التداولية قد اهتمّت في أوّل أبحاثها بوحدة جزئية هي الملفوظ أو الجملة في سياق التلفّظ فإنّ هذه الوحدة لم تكن كافية بحسب بعض الدراسات فدخلت مفاهيم التداولية في تحليل الخطاب واللسانيات النّصية وعملت على إثراء دراسة هذه الوحدة الجديدة بمزيد من المفاهيم الوصفية والتّحليلية ، ونتج عن هذا الاهتمام دراسة أساليب الانسجام الدلالي في العبارات وكيف تكون ذات معنى ، أما التداولية فقد تطوّرت فيها نظرية الملاءمة وصارت بحوثها تولي بعض الاهتمام بالخطاب والنص ، وأما تحليل الخطاب فينظر في ذلك من خلال الانسجام.

[1] محمود طلحة : منوال الأصوليين في تحليل الخطاب ، دراسة في المبادئ التداولية ، منشورات مخبر اللسانيات التداولية وتحليل الخطاب ، جامعة الأغواط ، الجزائر ، ط1، 2013، ص 23.

3- النظر في وظيفة الكلام مثل ما تنجزه اللغة عبر الأفعال الكلامية ومن خلال تحليل الحمولة الإيديولوجية للغة أو الحجاج من وجه آخر في تحليل الخطاب »[1] .

لقد تأثر تحليل الخطاب بالمفاهيم التداولية وصاغها في مفهوم جديد اعتمادا على النتائج التي حقّقتها التداولية في دراسة الخطابات التواصلية ، وقد اعتبر محلّلو الخطاب دراسة الأدب تحت تأثير التداولية فتحا جديدا يجعل اللسانيات وسيلة فقط في توجّهاتها البنيوية والأسلوبية ، وقد لوحظ هذا التّطور المُقترن باللسانيات النّصية ولسانيات الخطاب والذي يأخذ مفاهيمه من التداولية ، ويظهر هذا التّطور في دراسة بعض القضايا الأدبية الهّامة مثل السّياقات الحجاجية وقوانين الخطابي والإحالات والمجاز. ويُمكن أن نُجمل أهم المؤثرات التداولية في تحليل الخطاب في النّقاط التالية :

« أ- تجاوز المفهوم التّقليدي للخطاب والذي يركّز على الحجم الشّكلي باعتباره سلسلة من الجمل أو مقابلا للنص إلى محاولة إعتباره سيرورة تواصلية تدخل في تكوينها أجزاء أخرى مثل المقام التواصلي والتّلفظ ، والمشاركون في عمليّة التّلفظ ، كما أنّ الخطاب يدخل ضمن شبكة من العلاقات مع علاقات أخرى قد تكون من نفس جنسه مثل علاقة الخطاب بالخطاب السيّاسي أو الخطاب الشرعي .

ب- الانتقال من دراسة البنية التّركيبية واللّسانية للخطاب إلى دراسة كفاءته التداولية وهي الكفاءة التي تتعلّق بصلة الخطاب بالمقام التواصلي الذي أُنتج فيه مع الاهتمام بآثار المقام والتّلفظ في الخطاب ، والنّظر إليه في قوانين الخطاب التّداولية.

جـ- النّظر إلى الخطاب على أنّه تمثيل (Représentation) يتّخذ فيه كل واحد من المتخاطبين موقعا اجتماعيا ويكون كلّ ملفوظ حاملا نوعيا لهذا الموقع الاجتماعي في السيرورة التواصلية مع الاهتمام أيضا بكيفيات انتقال وتداول الخطاب في هذه السيرورة .

د- دراسة الإستراتيجيات الخطابية التي يستعملها المتكلّم في خطابه والمتلقي في تلقّيه للخطاب.

[1] محمود طلحة : منوال الأصوليين في تحليل الخطاب ، دراسة في المبادئ التداولية ، ص 24.

هـ- دراسة الدلالات اللزومية للخطاب النّاشئة عن بعض القواعد التواصلية التي تجري في استعمال اللّغة مثل متضمّنات القول والافتراض المُسبق والأقوال المضمرة.»[1]

فتحليل الخطاب يتقاطع مع التداولية في مباحث كثيرة ، ويستعمل المفاهيم التداولية في مقاربته للخطابات التواصلية المتنوعة ، وقد أتاحت النظرية التداولية مجموعة من الآليات والأدوات المنهجية التي اكتشفت أبعاد جديدة في دراسة الظواهر اللغوية مما جعل محللي الخطاب يهتمون بها ويدرجون آليات وإجراءات التحليل التداولي في دراسة خطابتهم .

3- تداولية النص الشعري:

تتعامل اللسانيات في مختلف توجّهاتها البنيوية والوظيفية والتوزيعية والتوليدية التحويلية مع الجملة التي تُعتبر منطلقا للدراسة والتحليل في حين تتعدّى المقاربة التداولية هذا المنطلق لأنها تتجاوز الجملة لدراسة الخطاب والنص « ويعني هذا أن التداوليات النصية تعاملت مع الخطاب ككلّية عضوية متّسقة ومنسجمة بل اعتبرته جملة نصية كبرى يمكن التعامل معها كالتعامل مع الجملة اللسانية »[2] فالتداولية تتعامل مع النص باعتباره خطابا ذا بنية كلّية « سواء أكان ذلك الخطاب شفويا أم كتابيا حيث نربط ملفوظاته بالوظيفة والسياق المقامي والأداء الإنجازي وندرس مكوّناته التّلفظية السيّاقية ، وروابطه الحجاجية المنطقية وغير المنطقية ، ونربطه أيضا بالحوارية ، والمقصدية والإحالة ، والتفاعل والخطاب الأدبي »[3] فالنص الأدبي علامات صوتية ومدلولات معنوية.

وهو أيضا إنجاز قائم على أبعاد مرجعية وسياقية وإحالية ، والنص يحسُن التعامل معه بإعتباره خطابا يحمل في ثناياه وظائف ومقاصد سياقية لأن مدلولات النص تحيل على أدوار تداولية ومقاصد مباشرة وأخرى غير مباشرة ، وترتبط الدلالة بالمعاني السّياقية والرسائل الظاهرة والمضمرة التي يرمي إليها النص الأدبي لأن لغته تحمل أبعادا سياقية تاريخية

---

[1] محمود طلحة : تداولية الخطاب السّردي – دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط-1، 2012، ص26.

[2] جميل حمداوي : التداوليات وتحليل الخطاب ، مكتبة المثقف ، المغرب ،ط1 2015، ص13.

[3] المرجع نفسه ، ص14.

وسياسية ووظيفية ، ولا يمكن أن ينحصر النص الأدبي في البنية اللغوية المغلقة كما ترى البنيوية لأنه يتعدّى التركيب والدلالة إلى وظيفة سياقية ، ومراعاة الوظيفة والسياق في تحليل النصوص والخطابات شيء أساسي لابد منه .

و وكذلك الأخذ بعين الاعتبار مختلف العناصر التي أهملتها البنيوية في تحديدها للبعد الحقيقي للغة أثناء تحليل النصوص والخطابات هو المحور الذي تهتم به التداولية باعتبارها منهجا لتحليل الخطاب لأنها « تجاوزت العديد من المتاهات التي وقعت فيها البنيوية بسبب إقصائها العديد من الأبعاد التي شكلت الأسس الثابتة التي بُنيت عليها اللغة البشرية وبسبب ضربها عرض الحائط دور السياق بأبعاده المتعدّدة في تأدية العملية التبليغية»[1].

لأن النص حافل بما هو إنجازي الذي يستدعي البعد المرجعي والإحالي والسياقي وهذا ما دعت إليه التداولية إلى الكشف عنه في تحليل النصوص .

ولغة النص لا تُوظّف بشكل عشوائي وإنما « تزخر بمجموعة من الدلالات السياقية والتداولية والحجاجية إقناعا وتأثيرا ، فكل ما في النص يدل ويحمل وظائف سياقية متنوعة سواء أكانت نصية داخلية أم مقامية خارجية »[2] لذا لابد من مراعاة السيّاق في تحليل النصوص الأدبية السردية والشعرية لأنها خطابات تبادلية موجّهة .

ولا يجب التعامل معها في معزل عن سياقها الإنجازي لأن النص الأدبي يُعتبر أيضا « تخاطب وتداول يجمع بين أطراف ثلاثة هي المرسل المتكلم الذي قد يكون كاتبا أو مؤلفا أو ساردا أو شخصية ، والمرسل إليه الذي قد يكون شخصا مخاطبا ، كأن يكون قارئا أو متلقّيا أو شخصية مقابلة للشخصية المتكلّمة ، وهناك العنصر الثالث الذي يتمثل في الخطاب التداولي أو الرسالة المرسلة »[3] فالنص الأدبي يُعدُّ إبلاغا تواصليا يكون المؤلف فيه باثّا والقارئ متلقّيا ويحمل بلاغا يرتبط عادة بالمرجع أو السّياق الذي يحضر القارئ فيه أثناء القراءة ، لأن هذا الأخير لا يمكن إقصاؤه من البحث اللّساني لما له من أهمّية بالغة

[1] عمر بلخير : مقالات في التداولية والخطاب ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص 45.

[2] جميل حمداوي : التداوليات وتحليل الخطاب ، مكتبة المثقف ، المغرب ،ط1 2015، ص15.

[3] المرجع نفسه ، ص19.

في فهم أبعاد اللغة والخطاب ، والنصوص هي ممارسة لغوية إطارها الكلام ، وتتجسّد بالدوال المستعمل للتعبير عن المعنى ، أي أن النص عبارة عن وحدة اتصالية إنجازية في إطار موقف معيّن يحمل معنى .

وقد حققت التداولية باعتبارها منهجا يتم تطبيقه على النصوص والخطابات نجاحا في سدّ بعض الثغرات التي عجزت عن سدّها النظريات اللسانية السابقة ، فقد مزجت بين مظاهر اللغة الداخلية وعناصر السياق المرتبطة بالمتكلم والمخاطب وظروف إنتاج العملية التخاطبية وقد حاولت التداولية من خلال اقتحامها لمجال التنظير للنصوص الأدبية وتحليلها « أن تعمل على تجاوز المنهج البنيوي الذي وإن سلّمنا بكفاءته في تقديم منهج علمي للغة ، فمن الصعب التسليم بكفاءته في تحليل النصوص الأدبية وإنارتها وتحقيق المعنى ، ولعل هذا ما دعا تودوروف إلى القول أن الإعتماد على مبدأ البنية الشّكلية المباشرة يقود إلى العقم أو إلى الإنتهاء إلى مجرد تصنيف محدود »[1].

فالاهتمام بجانب واحد من النصوص دون الجوانب الأخرى يؤدي إلى معرفة ناقصة بخبايا النص ، لذلك تعمّق المنهج التداولي في بنية النص الأدبي وتناوله بصفته موضوعا خارجيا ويفترض النص من المنظور التداولي وجود فاعل منتج له ، ووجود علاقة حوارية مع متلقّ لذلك اتّسع المشهد النقدي مع ظهور المنهج التداولي الذي أوجد مجالا خصبا من خلال إجراءات نقد النصوص الأدبية التي صارت تُدرس من جانبين داخلي يتعلق بالبنية اللغوية وتحديد المستويات اللسانية ، وجانب خارجي يتعلق بالمبدع والمقاصد التي يرمي إليها وظروف إنتاج النص .

هذا وقد تجاوز المنهج التداولي محددات الدلالة وذلك بدراسة مدى إمكانية الكشف عن قصدية المتكلّم من خلال إحالة الجملة أو النص إلى السيّاق التداولي لتحديد مدى التطابق واللاّتطابق بين الدلالة وظروف السياق وقد امتدّ المنهج التداولي إلى « دراسة السمات

[1] سارة قطاف : الخطاب السردي في كليلة ودمنة لابن المقفع – مقاربة تداولية – مذكرة ماجستير ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب واللغات ، جامعة باتنة ، الجزائر، 20130/2012، ص 71.

التواصلية للأدب وأحوال المتكلّمين وأحوال المخاطبين ، وسياق الكلام والفعل الإنجازي المتضمن في اللغة ، وكذا الاستعمالات الحرفية والسياقية لهه اللغة مما انعكس على الحقل النقدي وأعاد توجيه مساره من دراسة البنية اللغوية للنص الأدبي إلى التأكيد على تأثّر العمل الأدبي بطرفي التواصل (المبدع والمتلقي) ودور السياق الاجتماعي والثقافي والنفسي في بلورة الأفكار . وهذا ما جعل النقد يخرج من قيود البنيوية إلى فضاء التداولية ليربط النص الأدبي بمبدعه وأحواله وظروفه ، كما يربطه بمتلقّيه وبخصائصه ، دون إغفال ربط السيّاق المحيط بهذا النص »[1] فقد تجاوز المنهج التداولي التعامل مع النص باعتباره نظاما مستقلا عن مرجعه وعن السياق ليتعامل معه كخطاب ينجزه متكلّم ويرتبط بمقام في سيّق معيّن والذي يتوقف على أساسه فهمنا للنص.

وقد ارتبط تطبيق آليات المنهج التداولي بالبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو دراسة معنى التكلم من خلال دراسة جوانب السّياق المشفّرة في تراكيب اللغة ، التي تظهر في استعمال المتكلم .

والمعنى المتتبع في البحث التداولي ليس هو المعنى المأخوذ مباشرة من دلالة الكلمات والضمائر والجمل ، وإنما هو المعنى الكامن الذي يقصده المتكلم .

ولإيضاح ذلك أورد بعض الباحثين المثال التالي « إذا قال شخص في سياق محدّد : أهذه سيارتك ؟ فالسياق الذي ألقى فيه السؤال لا يدع مجالا للشّك في أن " هذه " تشير إلى محدد هو السيارة ، وأن الضمير " الكاف" يشير إليك وعلى الرّغم من أنّه ليس هناك مشكلة في فهم معنى الكلام وهو المستوى الأول من معنى المتكلم فإنك حتى هذه اللحظة قد لا تكون وصلت إلى معنى المتكلم أو فهم القوة Force التي تكمن خلف هذا السؤال : هل المتكلم يريد إجابة عن سؤاله بـ نعم أو لا ، أو أنه يخرج عن هذا المعنى الحقيقي إلى مقصود آخر هو التعبير عن اللوم لأن سيارتك سدّت طريق المرور على السيارات الأخرى ؟ وهذا هو

[1] حمدي منصور جودي : أثر البنيوية والتداولية في توجيه النقد الأدبي ، مجلة مخبر اللسانيات واللغة العربية ، جامعة بسكرة ، الجزائر ، ع2، 2014، ص 128.

معنى المتكلّم »[1] فالبحث في المعنى ليس هو المعنى الكامن في دلالة الكلمات ، وإنما هو المعنى المتداول في اللغة بين المتكلّم والسامع في سياق محدّد من أجل الوصول إلى المعنى الكامن في الكلام.

والبحث في الجانب التداولي للغة لا ينتمي إلى مستويات اللغة الصوتية و الصرفية والنحوية والدلالية لأن التداولية لا تقتصر على دراسة جانب محدّد من جوانب اللغة وإنما قد تستوعبها جميعا ، ليس لها أنماط تجريدية ولا ووحدات تحليل . فهي تُعنى بدراسة الأسس التي يقوم عليها استعمال اللغة استعمالا اتصاليا « ويكاد الباحثون يتفقون على أنّ البحث التداولي يقوم على دراسة أربعة جوانب هي : الإشارة deixis والإفتراض السابق présupposition والإستلزام الحواري Conversational implicature والأفعال الكلامية speech acts »[2] فالدراسة التداولية في عنايتها بجوانب الخطاب اهتمت بهذه المسارات الأربعة التي يتضمّن كل منها عدد من الدراسات وقد اعتبرها الباحثون من المفاهيم الإجرائية والقضايا التداولية التي تعالج البنى اللغوية في سياقات استعمالها المختلفة فتسهم في كشف المعنى بأدق صورة ممكنة وأكثرها ضبطا .

والتحليل التداولي منهج يحمل آفاقا في التحليل نظرا لتعدد المجالات التي يجتاحها والتي تتعلق بالتخاطب باعتباره فعلا إنجازيا. وقد استند المنهج التداولي إلى ادوات النظرية اللسانية من خلال البحث في علاقة النص ببنيته الجملية ، وتتبع الإحالات النحوية والبنية الدلالية للخطاب .

ولم يكتف الإجراء التداولي في تحليله بالتركيز على الجوانب الدلالية وإنما تعدّى ذلك إلى الجوانب السياقية التي تضبط مقاصد النص وغاياته ، لأن النص في منظور المنهج التداولي يمثّل فعلا تواصليا يؤكد أهمية السياق في تفسير الكلام وتأويله « ويتجه التحليل التداولي للخطاب بالدرجة الأولى إلى السعي نحو استنباط جملة القواعد والأساليب اللغوية والحجاجية

[1] محمود احمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، مصر،2002، ص 13.

[2] المرجع نفسه ، ص15.

(Argumentation) والسياقية والتلفظية التي تحكم الاستدلالات والتوقعات الدلالية ومن ثم إنتاج الدلالة مثل دراسة الحوار داخل النص الروائي وذلك بالتركيز على الكيفية التي يتمكن بها المتحاورون من الاستدلال على المعاني دون وجود ما يدّل عليها مباشرة »[1] لقد أولت المقاربة التداولية اهتماما بالغا للاستعمال الحواري وتتبع كل العناصر المسؤولة عن التفاعل التواصلي لأن الاستعمال التداولي للغة « هو استعمال حواري من حيث المبدأ ويطرح اتصالا ظاهريا مع الآخر في سياق ومقام تواصليين محدّدين»[2] .

وفي الحديث عن تداولية الخطاب الأدبي فإن الخطاب الشعري يُعتبر خطابا متداولا ، أي أنه يتوفر على الخصائص التداولية المختلفة من بنى حجاجية وافتراض مسبق ، وآليات اقناعية وإشاريات وأفعال كلامية « لأن النص الشعري في الحقيقة يحمل في ذاته قيما تداولية أهمها أن غايته التأثير في المخاطب ، وتعديل مواقفه ، مستندا في ذلك إلى البلاغة التي غرضها الإبلاغ والبيان الذي غرضه التبيين »[3] .

فالشعر يوازي الكلام والشاعر يحمل رؤى المتكلم ومواقفه ، ويسعى إلى التأثير في المتلقي خاصة عندما يستعمل الحوار في الحديث وهو موضوع التداولية « والنص الشعري ليس ألفاظ لعب وليس نقل تجربة ذاتية وحسب وإنما يهدف فوق ذلك إلى الحث والتحريض ، وبهذا الأخير تشمله نظرية الكلام فعل أو التداولية ، وتعني هذه النظرية أن التحدث يقصد به تبادل الأخبار ، وفي الوقت نفسه يهدف إلى تغيير وضع المتلقي وتغيير نظام معتقداته ، أو تغيير موقفه السلوكي »[4] فلغة النص الشعري لا تُوظف بشكل عشوائي وفوضوي وإنما تزخر بمجموعة من الدلالات السياقية والتداولية والحجاجية إقناعا وتأثيرا ، والنص الشعري

---

[1] عبد القادر عواد :آليات التداولية في الخطاب ،الخطاب الأدبي أنموذجا ، مجلة علامات ، النادي الأدبي بجدة ، ج 74،م 19،2011، ص 60.

[2] محمد نظيف : الحوار وخصائص التفاعل التواصلي – دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية –إفريقيا الشرق ، المغرب، ط1، 2010، ص38.

[3] عمار لعويجي : تداولية الخطاب الشعري ديوان أبي فراس الحمداني أنموذجا ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة باتنة، الجزائر، 2012/2011 ، ص27.

[4] جميل حمداوي : التداوليات وتحليل الخطاب ، مكتبة المثقف ، المغرب ،ط1 2015، ص15.

حافل بما يحيل ويحمل وظائف سياقية سواء كانت نصية داخلية أم مقامية خارجية ، وهو كذلك تخاطب وتداول يجمع بين المتكلم الذي يكون شاعرا والمرسل إليه الذي يكون قارئا أو متلقيا. وخلاصة هذا الفصل أن أهم ما تميز به الدرس التداولي هو تحديده لما يُعرف بالوظائف التداولية للغة، وعليه فإن موضوع هذا البحث هو أساليب استعمال اللغة الشعرية في ديوان " براءة " للشاعر الجزائري عثمان لوصيف على اعتبار أن قصائد الديوان تعتبر نصوصا متداولة تتّسم بخصائص التداول اللغوي عموما ، وتداول الخطاب الشعري بشكل خاص وذلك من خلال تتبع عدّة مداخل تداولية أهمها دراسة الإشاريات في نصوص الديوان وما يمكن أن يحمله كل نص من أغراض تواصلية ، والوقوف على العناصر المكونة للتراكيب اللغوية المختلفة لبيان دلالتها التداولية ، ودراسة ما يجعل من نصوص الديوان خطابا شعريا متداولا.

الفصل الثاني : الإشاريات في ديوان " براءة" لعثمان لوصيف

أ- مفهوم الإشاريات.

ب- أنواع الإشاريات :

1- الإشاريات الشخصية .

2- الإشاريات الزمانية .

3- الإشاريات المكانية .

4- الإشاريات الخطابية .

5 - الإشاريات الإجتماعية .

أ – مفهوم الإشاريات :

هناك ملفوظات تُعتبر عاملا هاما في تكوين بنية الخطاب ، ولها دور مهم في الإحالة على المعلومات إلا أنها خالية من أي معنى في ذاتها .

وقد أُطلق عليها اسم المبهمات لأن معناها المرجعي لا يتحدّد إلا في سياق الخطاب وتضم أسماء الإشارة والأسماء الموصولة ، والضمائر وظروف الزمان والمكان ، وقد أصطلح عليها الباحثون في مجال التداولية وتحليل الخطاب مفهوما لسانيا خاصا بها هو الإشاريات (Deictics).

وهي « مصطلح فني (من اليونانية) وهي من أكثر الأمور الأساسية التي تستعمل في فعل الكلام ، وهذا يعني أنها لافتات عبر لغوية»[1] فالإشاريات تعتمد اعتمادا تاما على السياق الذي تُستخدم فيه ولا يمكن إنتاجها أو تأويلها بمعزل عنه.

وهي علامات لغوية لا يتحدّد مرجعها في سياق الخطاب الذي وردت فيه، وهي تضم « كل العناصر اللغوية التي تُحيل مباشرة على المقام من حيث وجود الذات المتكلّمة أو الزمن أو المكان ، حيث يُنجز الملفوظ والذي يرتبط به معناه ، من ذلك : أنا ، و أنت ، و هنا و هنالك و هناك وهؤلاء وهذه العناصر كلها تلتقي في مفهوم التعيين أو توجيه الانتباه غلى موضوعها بالإشارة إليه »[2] ولا يمكن فهم دلالة الوحدات الإشارية إلا بعد معرفة هوية المتكلم والإطار الزماني والمكاني للحدث اللغوي .

وهذا ما جعلها عناصر سياقية ترتبط مرجعيا بالسياق الذي قيلت فيه ، وتظهر أهمية الإشاريات البالغة « حين يغيب عنا ما تشير عليه فيسود الغموض ويُستغلق الفهم . من هنا كانت النظريات الدلالية الشكلية عاجزة عن معالجة هذه الإشاريات »[3] فهي من مبادئ المنهج التداولي لأنها تندرج ضمن الجوانب السياقية في التفسير الدلالي ، وترتبط الإشاريات بالمرجع الذي تحيل عليه في الخطاب المتلفظ به ، إلا أن هذا المرجع يتميز بعدم الثبات

---

[1] Gerge Yule :pragmatics, oxford university press , first published , 1996 , p 9.

[2] سامية شودار : الخطاب الشعري في أطلس المعجزات لصالح خرفي – دراسة تداولية– ص21.

[3] محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي ، ص17.

لأنه يتغير بتغير السياق الذي ترد فيه ، وتعتبر الإشاريات عاملا هاما « في تكوين بنية الخطاب من خلال القيام بدورها النحوي ، ووظيفتها الدلالية ويستثمر المرسل هذه الصفات في الخطاب الذي يجري بينه وبين المرسل إليه عندما يمدّه في نسيج يتجاوزه في كليّته الجملة الواحدة فتصبح فائدتها الإحالة إلى المعلومات القديمة التي تلفظ بها أحدهم ، والتي أصبحت جزء من المعلومات المشتركة »[1] وينحصر دور الإشاريات في الخطاب في دراسة الإحالة التي تتصل بالواقع لأشياء بعينها من العالم الخارجي ولا تتجلى إلا في مقام معيّن « وهي الوظيفة التي بواسطتها تحيل علامة لسانية إلى غرض من أغراض العالم أو المحيط الخارج لساني سواء أكان هذا العالم حقيقة أو خيالا»[2].

فالإحالة تتعلق بشكل الخطاب وتعبير المتكلمين الذي يحمل علاقة قائمة بين الأسماء ومسمياتها ، والعناصر التي تملك خاصية الإحالة هي التي لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل وإنما لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها ، وقد اصطلح اللسانيون على الإحالة في الدرس اللساني مصطلح المرجعية la référence « وقد أولت اللسانيات التداولية أهمية كبيرة للوظيفة المرجعية وذلك لأنها تربط بين السياق اللغوي ، وسياق الموقف أي الواقع الاجتماعي الذي قيلت فيه العبارة اللغوية ضمن تطبيق الإستراتيجية التضامنية من طرف المتكلم بدراسة الإحالة وهي الإستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسّد بها درجة علاقته بالمرسل إليه وأن يعبر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينها»[3] فالوظيفة المرجعية أو الإحالة تتجسد من خلال الإستراتيجية التضامنية التي تُعنى بالكيفية التي تُستعمل فيها الضمائر وتوزيعها ومرجعيتها ، وهذا ما يؤدي إلى تقليص المسافة بين طرفي الخطاب في النهاية إلى أحسن ما كانت عليه في

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – دار الكتب الجديدة المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2004، ص 81.

[2] عبد الجليل مرتاض : لسانيات النص التحليلية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط1 2013، ، ص 132.

[3] عائشة عويسات : تواصلية الأسلوب في روميات أبي فراس الحمداني ، مذكرة ماجستير ، قسم اللغة والأدب العربي ، جامعة ورقلة ، الجزائر ، 2010/2009، ص 36.

البداية ، وهذه العلاقة تتجسد من خلال علامات لغوية أهمها الضمائر والتي يكون استعمالها مرهونا بقصد المتكلم وهدفه من الخطاب.« ولا يقف دور الإشاريات في السياق التداولي عند الإشاريات الظاهرة بل يتجاوزها إلى الإشاريات ذات الحضور الأقوى وهي الإشاريات المستقرة في بنية الخطاب العميقة عند التلفظ به ، وهذا ما يعطيها دورها التداولي في إستراتيجية الخطاب ، لأن التلفظ يحدث من ذات بسمات معيّنة وفي زمان ومكان معينين وهما مكان التلفظ وزمانه ، إذ تجتمع في الخطاب الواحد على الأقل ثلاث إشاريات هي (الأنا و، الهنا، والآن) »[1] فدلالة الكلام المنطوق لا تحدّد إلا بوجود مجموعة من عوامل المقام الذي قيلت فيه .

والإشاريات واحدة من هذه العوامل لأنها تساهم في فهم التواصل اللغوي ورفع الغموض عما تشير إليه حتى يسهل الفهم بين المتخاطبين ، وتستعمل الإشاريات « للإشارة إلى الأشخاص من خلال التأشير الشخصي person deixis (أنا ، أنت) أو إلى المكان من خلال التأشير المكاني spatial deixis (هنا ، هناك) أو إلى الزمان من خلال التأشير الزماني temporal deixis (الآن ، أنذاك) وتعتمد جميع هذه التعابير في تفسيرها على متكلم ومستمع يتشاركان في السياق ذاته [2]».

فالتعبيرات الإشارية تنقسم إلى صنفين الأول قريب من المتكلم والثاني بعيد عنه ، والمتكلم (الأنا) هو الذي يشكّل المركز الذي من خلاله تتحدد مسألة القرب والبعد بالنسبة لأطراف الخطاب ، وهي المسافة الفاصلة بين المتكلم والمشار إليه .

وهي كذلك موقع المشار إليه من الناحية المركزية ، كما أنها هي التي تمثل حضور المشار إليه أو غيابه ، ودورها الأساسي هو تعيين المرجع الذي تشير إليه ، لأن الأفعال الناتجة عن اللغة تكون ناجحة إذا علم المخاطب قصد وإحالة العبارة « وتستعمل التعابير التأشيرية بشكل أساس ومتزايد في التعامل المنطوق وجها لوجه face– to– face حيث يكون فهم

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – دار الكتب الجديدة المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2004، ص 81.

[2] جورج يول : التداولية ، تر: قصي العتابي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان ، ط1 ، 2010، ص27.

لفظ مثل الذي في : سأضع هذا هنا يسيرا جدا على الحاضرين ، ولكن الغائب قد يحتاج إلى ترجمة لفهمه »[1] إضافة إلى هذا فالإشاريات صيغة من صيغ الإشارة المرتبطة بسياق المتكلم ، وهي تختلف انطلاقا من حالتي القرب من المتكلم والبعد عنه ، لذلك انقسمت إلى أصناف متعددّة ولكل صنف دوره في الخطاب ، وتعد الإشاريات أكثر الوحدات اللغوية التي ترتبط بالسياق وتتطلب معلومات عنه حتى يسهل فهمها وقد تم تقسيمها بحسب دلالة كل نوع منها لأن الهدف من استعمالها هو فحص العلاقة بين المتكلم والمتلقي في مقام استعمالي خاص ، وسنوضح ذلك على المستوى النظري والإجرائي في ديوان " براءة" للشاعر الجزائري عثمان لوصيف فيما يلي من صفحات .

ب– أنواع الإشاريات :

تتفرع الإشاريات في الدرس التداولي غلى خمسة أنواع : الإشاريات شخصية ، وزمانية ومكانية ، واجتماعية ، وخطابية .

1– الإشاريات الشخصية :

أ– الضمائر:

تسمى الإشاريات الشخصية personale Deictics المرجعيات الشخصية ، وهي تنحصر في ضمائر الشخص الدالة على المتكلم وحده (أنا) أو المتكلم مع غيره (نحن) أي أن العناصر الإشارية الدالة على الشخص هي ضمائر الحاضر ، والمقصود بها هو الضمائر الشخصية « وضمائر الحاضر هي دائما عناصر إشارية لأن مرجعها يعتمد اعتمادا تاما على السياق الذي تُستخدم فيه ، وليس من شك في أن الضمير أنا و أنت ونحوهما له دلالة في ذاته على المتكلم أو المخاطب الذي يحيل إليه الضمير أنا وأنت ، أما ضمير الغائب فيدخل في الإشاريات إذا كان حرا لا يعرف مرجعه من السياق اللغوي ،فإذا عُرف مرجعه من السياق اللغوي خرج من الإشاريات »[2] فالضمائر الإشارية لا تدل بنفسها وإنما معناها

[1] المرجع نفسه : ص 27.

[2] محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي ، ص 18.

وظيفي يتعلّق بالسياق الذي ترد فيه وعلى المتلقي أن يكتشف المرجع الذي تحيل عليه الضمائر في الخطاب « وعليه فهذه الضمائر الإشارية الشخصية ليست علامات لغوية كما هو معروف عند البنيويين وإنما هي عوامل تحويل اللغة إلى الخطاب أي أنها لا تحيل على شيء ثابت في العالم ولا على أوضاع موضوعية في المكان والزمان ، إنما تحيل دوما على الخطاب الذي ترد فيه »[1].

وتشمل الإشاريات الشخصية ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب ،ولابد في الإحالة من تحقق شرط الصدق لأن الإشاريات لابد أن ترتبط بالصدق فلا يمكننا أن نصدر حكما صادقا على جملة ما دون أن تتطابق مع الواقع « فإذا قالت امرأة مثلا : أنا أم نابليون فليس بكاف أن يكون مرجع الضمير هو تلك المرأة بل لابد من التحقق من مطابقة المرجع للواقع بأن تكون هذه المرأة هي أم نابليون فعلا وأن تكون الجملة قيلت في الظروف التاريخية المناسبة فإن لم يتحقق شرط الصدق كانت الجملة كاذبة »[2] فلابد من التحقق من مطابقة المرجع للواقع حتى لا ينشأ لبس في استخدام الضمائر خاصة إذا تعدّد الأشخاص لأن هذا يؤدي إلى تعدّد الإحالات.

وبناء على هذا فإن الدراسة التداولية للإشاريات الشخصية في ديوان " براءة" للشاعر " عثمان لوصيف" تفرض علينا أن نتساءل : من أين وإلى أين يتجه هذا الخطاب الشعري ؟ وهذا يستدعي الوقوف على:

-الضمائر التي تشير إلى المتكلم والطريقة التي يسجّل بها حضوره في خطابه (ضمائر منفصلة ، ضمائر متّصلة ، ضمائر مستترة).

- الضمائر التي تشير إلى المخاطب المتلقي للخطاب .

- الضمائر التي تشير إلى الغائب ، وذلك في كلّ خطاب شعري نستشهد به لأن الشخص المتكلم واحد أما المخاطب والغائب فيختلفان باختلاف الخطاب المدروس.

---

[1] محمد بن شماني : الإشاريات والافتراض المسبق – نظرة تداولية– مجلة مطارحات في اللغة والأدب ، المركز الجامعي غليزان ، الجزائر ، ع1، 2009، ص 189.

[2] محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي ، ص 18.

1- الضمائر التي تشير إلى المتكلم :

تشكل ضمائر المتكلم الذات المتلفظة التي تدل على المرسل في السياق ، وقد تصدر خطابات متعدّدة من شخص واحد وتتغيّر بتغيّر السياق الذي ترد فيه ، والذات (الأنا) هي محور التلفظ في الخطاب تداوليا لأنّها تحيل على المتلفّظ ، وعند القيام بتحليل مختلف لطرائق استعمال الضمائر في الديوان نلمس للانا حضورا فعّالا يعبّر عن الذاتية التي تبدو ملمحا هاما في نصوص الديوان والذي يترجمه حضور الضمير (أنا) مما يجعل الخطاب منسجما مع الحالة النفسية للشاعر ، ومعبّرا عن حالته الشعورية بشكل دقيق حيث يقول :

أنا جرح من الطين

أنا فلذة نبض

وخلايا أبجدية

صهرتها النار والحمى النبيه [1]

فمرجع الوحدة المبهمة (أنا) لا يشير إلا إلى المتكلم نفسه ومعناها ثابت ، وعليه فإن المخاطب في ديوان براءة هو الشاعر عثمان لوصيف ، وقد أسند كلامه إلى نفسه ليعبر عن ذاته ورأيه من خلال الضمائر التي تشير إليه في الديوان فمرجع الضمير أنا هو الشاعر.

أنا ←——— المتكلم ←——— الشاعر (عثمان لوصيف) .

ومثال ذلك في قوله :

وأنا العاشق المتصوف

عانقت كل المدارات

كل البروق

وكل المرايا

أفتّش عن منتهايا

أفتش عن سدرتي.....

[1] عثمان لوصيف : براءة ، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع ،1996، الجزائر ، ص13.

ما ارتوى القلب يوما ولا هدأت مهجتي
ثم ...حين رجعت إلى الأرض
أحتضن الطين والياسمين
تجليت في أفقي
واكتشفت بأن سمائي
تختفي في عيون السماء !! [1]

نلاحظ من خلال هذه الأبيات أن الشاعر لما أراد أن يعبر عن إحساسه وشعوره اتجاه العلاقة مع المرأة التي تحضر في خطابه الصوفي ، أسّس خطابا يتمرد على اللغة الطبيعية من خلال تفجيره لقوالب لغوية تؤسس نمطا جديدا من الخطاب يقتضي وجود علاقة تفاعل في سياق التعبير لذلك استعمل الضمير (أنا) وأحال الكلام إلى نفسه لأنه يعبر عن تجربته في علاقته تجاه المرأة والتي تناولها بطريقة تختلف عن تناول العلاقة مع المرأة في باقي الخطابات الأخرى ، لأن حب المرأة في الخطاب الصوفي يعتبر محطة هامة نحو الحب الإلهي.

ويمثّل ضمير المتكلّم المفرد حضورا قويّا ومكثّفا يعبّر عن الذات الشاعرة (عثمان لوصيف) ليجسّد من خلالها الكلمات التي تدلّ على التوجّع والوحدة والهجر والغربة وحب الوطن الذي يشكّل بؤرة الحنين ومنبع الشوق إذ يقول :[2]

أنا والبحر نعشق وهران ...نعبدها
أنا والبحر ملح لملح .....دم لدم
إننا جسد واحد .. كلف واحد...لهب واحد
آه يا بحر وهران ...يا نبعها القدسي
أُناشدك الدمع والزفرات

[1] المصدر السابق، ص48.
[2] المصدر نفسه ، ص60.

أناشدك العشق والكرمة الفارضيه
آه دعني أمرغ فيك همومي
وأغسل قلبي وأوردتي
آه دعني أعانق في مائك اسمي الحقيقي
معناي .. روحي .. وجوهر كينونتي

تضمنت هذه الأبيات جملة من الضمائر التي تشير إلى الذات الشاعرة وكلها تدل على الأسى والانكسار ، لأن الشاعر في سياق التعبير عن شعوره بمرارة الغربة والبعد عن الوطن ، وهذا الشعور بالألم إنما كان نتيجة الوضعية التي تعيشها الجزائر أثناء العشرية السوداء.

كما عبر الشاعر عن ذاته من خلال " ياء المتكلم" المتصلة بالكلمات الآتية : خليني– عذابي – التهابي– اكتئابي– أثوابي – اغترابي وغيرها من الكلمات التي تدل على التوجع والوحدة والفراق والغربة ، ونراه في أحيان أخرى يحدّث نفسه ليُحدث إتصالا ذاتيا هو المتكلم فيه والسامع في أحيان واحد إذ يقول :[1]

أيها البرق تمهل ... زغب الضوء كساني
والأغاني غسلت قلبي ... الأغاني
غمرتني بفيوضات المعاني
من أزاح الليل عن جفنيّ
من مسّد أعصابي الطرية
أيها البرق الذي يخطف خطفا
أيها المشحون ومضا وفجاءات ، وعنفا
يا رسول الرعد ! مزّق صدري العاري
وفجّر أضلعي ...فجّر حشايا
علّني ألقى فضائي في فنائي.

[1] المصدر السابق ، ص 14.

فالشاعر بصفته مخاطبا يستحضر ذاته من خلال ضمير المتكلم المتصل حينا بالفعل الماضي وحينا آخر بالاسم ليحمل وظيفة الفاعلية ، فيعبر من خلاله عن حركات شعورية في نوع من الهمس الذي يدور بين المرء ونفسه.

2- الضمائر التي تشير إلى المخاطب :

تساهم الضمائر الدّالة على المخاطب مفردا أو مثنى أو جمعا في توضيح العناصر الإشارية الدّالة على الأشخاص .

والإشاريات الشخصية ليست وقفا على ضمائر المتكلم (أنا) و (نحن) وإنما تتعدّى لدراسة الضمائر الدّالة على المخاطب مثل : أنتَ ، أنتِ ، والضمير (أنت) « لا يقف استعماله في السّاق عند الإحالة على المرجع فقط ، بل يتجاوز ذلك ليصبح دليلا على غرض تداولي وهو المشاركة بين الأطراف في الخطاب من خلال كون المخاطب مفترضا ، أو الكتابة لمخاطب حتى وإن كان مفترضا »[1] .

فوجود الضمير (أنت) في الخطاب يقتضي وجود مخاطب حقيقي يشارك المتكلم في الحوار، أو مخاطب افتراضي كما هو في الخطاب الأدبي الشعري أو السردي.

ويشير الضمير (أنت) عند استعماله في الخطاب إلى أن « المشاركين في الخطاب يعتبرون أنفسهم ذوي علاقة حميمية من الناحية الإجتماعية ، ويمكن تعريف العلاقة الحميمية بأنها التعابير عن القيم المشتركة ، والقرابة والجنس ، والموقع الوظيفي وتكرار التواصل ، أما (أنتم) المشتركة فعلى العكس من ذلك حيث لا يعتبر الناس أُنفسهم ذوي علاقة حميمية اجتماعيا ، أما في حالة عدم التكافؤ فتُعدُّ أنت مؤشرا على الحميمية والتقرّب الاجتماعي ، في حين تُعدّ (أنتم) مؤشرا على الاحترام والبعد الاجتماعي»[2] ، وتعتبر ضمائر المخاطب أنتَ ، أنتِ ، أنتم مؤشرا على العلاقة الحميمية بين المتخاطبين وتهدف إلى التقرب الاجتماعي بينهم.

---

[1] عائشة عويسات : تواصلية الأسلوب في روميات أبي فراس الحمداني ، مذكرة ماجستير ، قسم اللغة والدب العربي ، كلية الآداب واللغات ، جامعة ورقلة ، الجزائر ، 2010/2009، ص 44.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – ص288.

بعد قراءة الخطاب الشعري (التّجلي) نلاحظ أن الشاعر وظّف الضمير أنتِ توظيفا تداوليا والـذي خـرج عـن معنـاه الحقيـقي إلى معنى آخــر يُفهـم من خـلال السّيـــاق إذ يقـــول :[1]

آه !

يا امرأة تتشح بالضوء

من عصر الشفق الأرجواني

من كساكِ جمالا تغوص الكواكب فيه

ومن فضّ بين يديكِ مزاميره القدسية ؟!

أنتِ أميرة هذا الجنون المغامر

أنتِ إلهة هذا الغوى

أنتِ سيدة الشعراء

وسيّدة الأنبياء

فالشاعر يخاطب امرأة ويوغل في تصويره للعناصر المحسوسة للأنثى من خلال رؤية صوفية عن طريق التجلي ، واستقباله لصور متتالية تقوم أساسا على موارد حسية طبيعية ليمثّل وطنه في هيئة امرأة يغرق في تصويرها ، فيلجا إلى الطبيعة عند تأزم الواقع ويقيم مع موادها المحسوسة جسورا عاطفية تمكنه من تشكيل صور مفعمة بالحيوية تدّل على موطن تمثيل الوطن أو جزء منه بالمرأة ، وقد ورد ضمير المخاطب المنفصل في معنى حب الوطن بذكر بعض أجزائه كقوله:

آه ...وهران ! [2]

كلّ الشعاب تؤدي إلى مكة

الناس في كل عام يحجّون ... يعتمرون

ولكنّني أنا وحدي حججتُ إليكِ

---

[1] عثمان لوصيف : براءة ، 48.

[2] المصدر السابق ، ص53.

وقبّلتُ ركنك... خضبتهُ بالدموع
فلا تُنكري توبتي وارحمي
آه ! لبيك... لبيكِ
أنتِ المحجّة ... أنتِ المحبة
يا قدسية .... يا لدنية
أنت البريئة ....أنتِ النّقية ...أنت البهيّة
وأنا عبدكِ المتصوف فيك
توزّعت بين الشظايا
وحين رأيتكِ أدركت أن الحبيبة أنتِ
وأن الإلهة أنتِ....

فالضمير أنتِ بصفته أداة إشارية تحوّل في هذا السّياق من وظيفته الدّلالية على المرجع لوظيفته التداولية بانعكاسه مؤشرا على قصد المتكلم (الشاعر) من خلال إنجازه وظائف رمزية للتأثير على المتلقي من جهة وإظهار قصد الشاعر من جهة أخرى الذي يسعى لخلق علاقة حميمية معه بحكم الاشتراك في الاهتمام بحب الوطن والتعلق بجميع ربوعه.

ويتحدّد حضور المخاطب (الوطن) في استعمال الضمير أنتِ اثنا عشر مرة ، بالإضافة إلى الضمير المتصل الذي ورد ثلاثة وأربعون مرّة ، أما الضمير المستتر الذي يشير إلى المخاطب فلا وجود له.

ويمكن أن نمثّل مجمل الضمائر التي تشير إلى المخاطب في الجدول الآتي :

المشار إليه	نوع الضمائر	تواترها في الخطاب
المخاطَب : النار	الضمائر المنفصلة	10
المخاطب : وهران	الضمائر المتصلة	43
	الضمائر المنفصلة	12
المخاطب : الحطيئة	الضمائر المتصلة	23
	الضمائر المنفصلة	01

جدول (01): الضمائر العائدة على المخاطَب في الخطاب الشعري : وهران لعنة الحطيئة ، أنشودة النار.

نلاحظ من خلا هذا الجدول أن أغلب الضمائر التي تشير إلى المخاطب هي الضمائر المتصلة ، لأن هذه الضمائر تلعب دورا هاما في علامة الرّبط .

وهي تحيل إلى مرجع يغني عن تكرار لفظ ما دلت عليه ، ثم تليها الضمائر المنفصلة التي وُظفت بنسبة أقل لأنها ضمائر مستقلة الدّلالة ، أما الضمائر المستترة فلا وجود لها.

وقد يستعمل ضمير المخاطب أنت لتجسيد الإستراتيجية التضامنية مع المرسل إليه المفترض « ومبرر استعمالها في كونها أداة غير محدّدة المرجع ، وهذه خصيصة تعطي الخطاب بعدا تداوليا أوسع ، حيث يسوغ استعمالها لمخاطبة كل من تنطبق عليه سمات المرسل إليه

العام أي المفترض ولا تتجه إلى واحد بعينه »[1] فالشاعر يخاطب في بعض نصوصه مخاطبا مفترضا ولا يمكن تحديده كمرسل إليه بعينه.

3- الضمائر التي تشير إلى الغائب :

بعد تتبع الضمائر التي تشير إلى الغائب (الذات الشاعرة) والمخاطب ، سنحاول تحديد ضمائر الغائب ، وإلى من تشير في الخطاب الشعري « ولتحديد ضمائر الغائب يقتضي الأمر الاستعانة بمرجعيته .اعتبرت " أوركيوني" كل من (أنا وأنت) ذات مرجعية إثناء استعمالهما ، بينما يقرّ " بنفنيست" بالعكس إذ ينسب للضمير الغيبي المرجعية في حين يمكن الإستغناء عنها في حال (أنا وأنت) في قوله : إن الفرق بين " أنا وأنت " و"هو" يكمن في أن هذا الأخير (هو) يحتاج إلى محتوى مرجعي يحدّد التحديدات المصاحبة للنص التي قد يستغني عنها " أنا " و" أنت" »[2].

فالضمائر بأنواعها يتنوع معناها بتنوع مقاماتها ، ويمكن اعتبارها في بعض الأحيان أشكالا فارغة لا مرجعية لها، وما يتغيّر مع المقام هو الوحدة المبهمة .

وتبتعد ضمائر الغائب عن الإبهام لأنها تعبّر عن اللاشخص ، وتستعمل في الحديث عن بعض الأساليب التي يرغب فيها المتكلم تحديد طبيعتها.

ويُطلق على الضمير (هو) « الضمير الغيبي ولا يختلف عن أنا وأنت ولا يمكن تحديد وظيفة هو خارج أفعال الكلام Acte de parole حسب "مانغونو" فالسياق اللغوي هو الذي يسمح بترجمة " هو" وربطه بسابقه الذي يقدم له مدلولا »[3] فضمير الغائب يفتقد للمرجعية في حال فقدان الاستعمال الواقعي لها .

وتحديد الضمائر يقتضي الإستعانة بمرجعيتها لأن المرجعية هي تعبيرات تسمح للمتكلّم بأن يفرّق بين الأشياء في الخطاب وفي قول الشاعر :[4]

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – ص289.

[2] ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، ط2، 2012، ص175.

[3] ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، ص 113.

[4] عثمان لوصيف : براءة ، ص 28.

موغلا في سهوه متلبّسا بالرموز

نثر عقد الثواني بين يديه

وراح يحدق في البياض البياض

لماذا رفرفت أهدابه للأشعة ؟

لماذا أعبقت أنامله بالأغاني ؟

ولماذا انهمرت على مداره السنوات؟

كما تغويه السؤالات....

نلاحظ أن ضمائر الغائب الواردة في هذا الخطاب الشعري تشير إلى شخص لم يحدّده الشاعر وقد خاطبه في الخطاب الشعري الموسوم بـ (النحلة والغبار) " أيها المتشرد" وهو شخص واحد لأنه أشار إليه بضمائر الغائب المفردة المتصلة في قوله : (سهوه ، أهدابه ، أنامله ، مداره ، مواجعه ، كتفيه ، عينيه ، أيامه ، لياليه ، ألهمته ، ساعاته، طفولته) فالشاعر في هذا السياق اللغوي يقيم علاقة بينه وبين شخص يعيش في بلده ويشكو الآلام والتمزق والقسوة ، والتشرد في واقع غير واقعه ، وهنا إشارة إلى فقدان الاستقرار داخل الوطن.

وفي الخطاب الشعري المعنون بـ (وهران) يقول:

كم أحبك وهران

أحبك....آه ..... أحبك

أنت سرير القرنفل بلله الضوء

فيروزة الليل ذرذرها النجم فوق المدينة

نافورة المسك رقرقها الفجر بين الصنوبر

أنت سجادة الفجر رقّت عليها الفراشات[1]

[1] المصدر السابق : ص54.

ويقول كذلك :[1]

أنا والبحر نعشق وهران .....نعبدها

آه يا نعمة الماء فكي حزام الحبيبة

فكي جدائها الأسمر

فكي خواتمها

وطلاسمها

جرّديها ... وعرّي سبائكها الذهبية !

في هذين الخطابين يتكلم الشاعر عن وهران ، ويستعمل ضمير الغائب الذي له إحالة على وهران وما تحمله من صفات جمالية يتغنى بها ليبيّن للآخرين علاقته التي تربطه بكل أجزاء وطنه .

وقد استعمل ضمير الغائب المتصل كذلك ليبيّن للمخاطب سعة الود التي يحملها اتجاه وطنه. فالهاء المتصلة تشير إلى وهران التي هي جزء من وطن الشاعر أو لها مرجع على مايميز الوطن من صفات ذكرها الشاعر ليعبر عن حبه لبلاده بكل ربوعها خاصة عندما يستعير صفات المحبوبة ليسقطها على وطنه الذي يحضى بمرتبة كبيرة عند الشاعر.

فهو يعرض تجربة مقدسة لحب الوطن تتعدى حب المرأة لتشمل العلاقة الروحية مع الوطن سعيا منه إلى طرح قيم روحية جديدة فنراه يقول :[2]

كنت في زخم السكرا أبحث عني

وناديت عبر الشوارع ناديت: عثمان...عثمان !

لكن فستانها

لف بستانها

لفني معها ...واحتواني البخور فغبت

---

[1] المصدر نفسه : ص 60.

[2] المصدر السابق ، ص 59.

سكرت برائحة الخوخ والبانسون

سكرت ...أنا الميت الحي!

ناديت من خارج الكون : وهران ...وهران !

فابتسمت ..لوحت...غمزتني...ومدت إلي يدا

ثم سرنا معا وانسللنا إلى البحر .

فالهاء المتصلة بـ (فستانها ، بستانها) مرجعها هو وهران التي جعلها الشاعر امرأة ترافقه في رحلته التي أضفى عليها رؤية صوفية من خلال تجربة حقيقية يعيشها الشاعر ويحترق بلهيبها. ويمكن تحديد ضمائر الشخص في الخطاب الشعري لعثمان لوصيف من خلال الخطاطة الآتية :

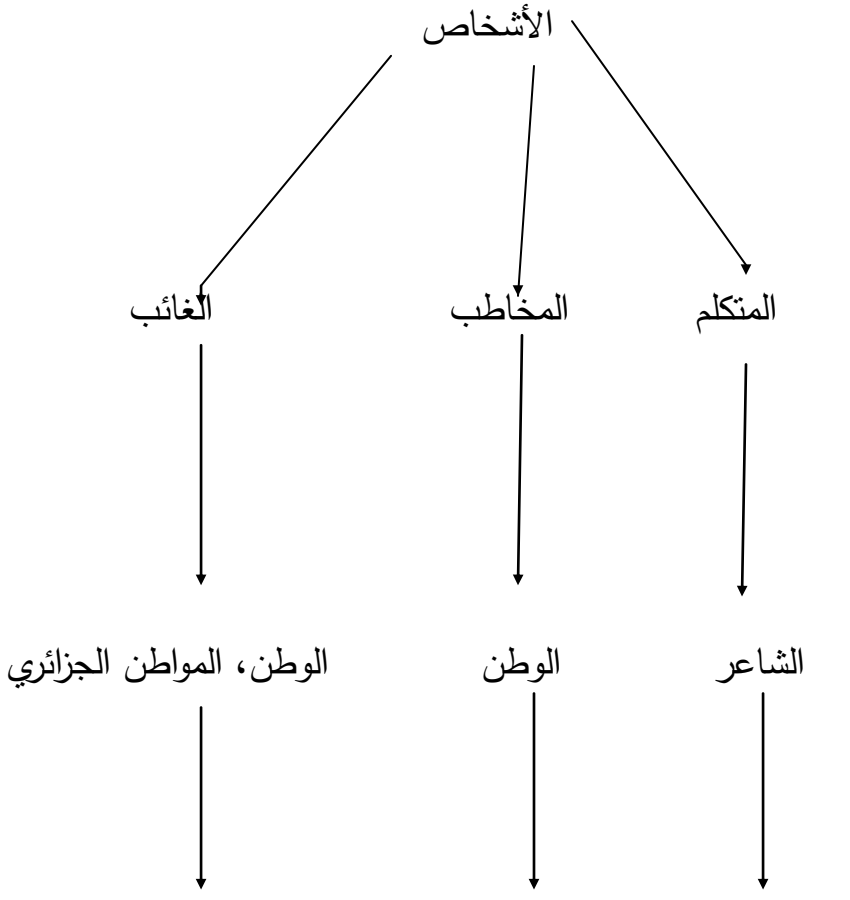

الشكل 2: الإشاريات الشخصية في الخطاب الشعري : البرق ، لعنة الحطيئة ، وهران .

و تجدر الإشارة إلى أن المتكلم قد يستعمل في الخطاب الواحد ضمير المتكلم المفرد وضمير المتكلم الجمع كقول الشاعر في الخطاب الشعري " وهران " :[1]

لازلت أذكر أني إلتقيتك في الحلم ذات مساء
وأنا اعتنقنا الغواية والبرق
ثم ارتحلنا على زورق ملكي
من الورد واللازورد
ورحنا نشق نبيذ السماوات
في زخم الضوء ، واللون ، والأغنيات ...
عبرنا الغيوم وأجراسها
والنجوم وأعراسها
واستبقنا الأساطير والحقب الزمنية.

نلاحظ أن الذات الشاعرة حاضرة في ضمير المفرد (لازلتُ ، أنّي ، إلتقيتك) وضمير الجمع (اعتنقنا ، ارتحلنا، رحنا ، عبرنا ، استبقنا) فالشاعر يصطنع لغة (نحن) ويُذيب ذاتيته في ضمير جمع المتكلم لينفتح على لغة خارج أناه يعبّر فيها عن رؤاه التي تظهر في صوت الجماعة.

فقد تحدّث الشاعر في بداية الخطاب بضمير المفرد عن عشقه لبلاده الواسعة ، ثم انتقل إلى بعد ذلك من التعبير بضمير المفرد إلى التعبير بضمير جمع المتكلم لأن (نحن) تدل على المصير المشترك بين الشاعر وبلاده التي خاطبها بصفتها امرأة ترافقه ويرافقها في جميع الظروف والأحوال كما في قوله (اعتنقنا ، استبقنا ، رحنا ، إننا جسد واحد). فالشاعر وظف ضمير جمع المتكلم لأنه في سياق الحديث عن كلام مشترك يوحي بمعاناة مسّت كل مواطن جزائري شهد فترة صعبة مرّت بها الجزائر فوصف لنا هذا المواطن الذي عشق بلاده بصدق ولم يتخلّ عنها.

[1] المصدر السابق ، ص 58.

ب- النـداء:

النداء من العناصر الإشارية الدالة على شخص معيّن ، وهو يُوظف لاستدعاء شخص أو تنبيهه « وهو ضميمة اسمية تشير إلى مخاطب لتنبيهه أوتوجيهه أو استدعائه وهي ليست مدمجة فيما يتلوها من كلام ، بل تنفصل عنه بتنغيم يميّزها ، وظاهر أن النداء لا يُفهم إلا إذا اتّضح المرجع الذي يُشير إليه »[1] فحروف النداء تشير إلى شخص معيّن يُفهم من خلال سياق الحديث في الخطاب ، والنداء لا يُفهم إلا إذا اتضح المرجع الذي يُشير إليه في الحديث ، ومرجع أداة النداء يدل على الشخص الذي تشير إليه فلا يجوز لنا أن نذكر في خطاب ما أداة النداء دون أن نذكر الشخص الذي تُحيل عليه لأن مرجعها في هذه الحالة يكون غير واضح تماما.

وبعد تتبع الخطاب الشعري في ديوان " براءة" نرى أداة النداء (يا) هي الغالبة على باقي أدوات النداء الأخرى ومرجعها يختلف من خطاب إلى آخر ، ففي الخطاب الشعري المعنون بـ (البرق) مرجعها هو البرق ذاته الذي يخاطبه الشاعر ليصور نور بدائعه التي تنبعث من شقوق الروح لتعانق تجليات الوضوح في وجهة صوفية حيث يقول :[2]

يومض البرق فتتثال المرايا
بين عينيّ شفيفات ندّية
يا رذاذات السماوات البهية
يا غصون البرق
يا نبع التّجلي
ظمئت روحي وجنّنت شفتاي
والمرايا هيّجت بحر هوايا
يومض البرق فتغوى مقلتايا

[1] محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي ، ص19.

[2] عثمان لوصيف : براءة ، ص 13.

سرمد اللحظة ....ما أرحبه !

ما أرحب الرؤيا إذا امتدت يدايا !

ما نلحظه في هذا الخطاب الشعري هو أنه مملوء بأفكار الحب الذي قرأه الشاعر بصيغ جديدة، فهو الصاعد نحو التجلي الصوفي ، ونحو خيوط الضياء والتوهج الأبدي ليطوف بعمق أفكاره حيث الرؤى في سماء التفاصيل ، ولتعانق روحه تجليات الوضوح ، فقصيدة البرق عبارة عن أحلام يتحدث عنها الشاعر ، وقد استهلّها بوميض البرق وراح يوجه النداء له ليبدأ في عرض مساحات البوح أكثر ويصور اغترابه الممزوج بالحب المتوهج الذي يحمل بعدا صوفيا يجعل الخطاب يتصوف فيصبح ذا دلالة صوفية إذ يقول الشاعر :[1]

أيها البرق تمهل ....زغب الضوء كساني

والأغاني غسلت قلبي ...الأغاني

غمرتني بفيوضات المعاني

أيها البرق الذي يخطف خطفا

أيها المشحون ومضا وفجاءات ، وعنفا

يا رسول الرعد ! مزق صدري العاري

وفجّر أضلعي ....فجر حشايا

علّني ألقى فضائي في فنائي

علّني ألقى شرارتي

وأولى أنجمي... أولى رؤايا

يا رسول الرعد !

فجرني .....وفجّر معي الدنيا شظايا.

فمرجع أداة النداء " أيها" في هذا الخطاب الشعري هو البرق الذي يوحي بالتوهج والذي يناشده الشاعر لتعانق روحه تجّليات الوضوح من أجل الوصول إلى الحب الروحي.

[1] المصدر السابق ، ص 14.

كما نرى الشاعر يوجه خطابه في الخطاب الشعر المعنون بـ " لعنة الحطيئة " إلى هذا الأخير باعتباره رمزا لكل الشعراء ، ويقصد شعراء زمانه إذ يقول [1]:

آن أن ألعنك
يا حطيئة ... يانحس هذا الزمان
آن أن أطعنك
أيها العنكبوت الجبان
زمن قد مضى ...
لم تكن ناعما ... لم تكن مستساغا
كلامك مرٌّ
وعزمك فوضى
تحاول أن تتخطى الرمال
ولكنّ كثبانها تتراكم دوما
ها خنجري الآن مزّق عنك القناع
وها مخلبي غاص في لحمك الفج
يا جلف بادية امّحلت !
آه... أين الملاذ وأين المفرّ؟

لقد وردت "ياء النداء" ثلاث مرات مقترنة باسم الحطيئة ومرتين بصفتين خاطبه الشاعر بهما يلومه على غفلته وجبنه ويتوعده .

والحطيئة هنا رمز لكل شاعر عربي تخاذل وصمت عن هذا الواقع الأليم الذي تعيشه الأمة العربية. ومرجع أداة النداء واحد وحدّد في السياق فالشاعر يحث على الصمود والتحرر من خلال توجهيه لمخاطَب واحد هو الحطيئة ، و إضافة إلى ياء النداء وظف الشاعر في هذا

[1] المصدر السابق: ص 67.

الخطاب أدوات النداء (الهاء) و(أيها) واللتان تستعملان للتنبيه وتحديد مقصدية المتكلم في الخطاب. ويمكننا تلخيص أدوات النداء في الجدول الآتي :

الأداة	الخطاب الشعري	المشار إليه	تواترها في الخطاب
يا	البرق	البرق	04
	سليل الصعالـ	الطفل(الشاعر	02
	وهران	وهران(الوطن)	06
	طفل	الطفل(الشاعر	04
	لعنة الحطيئة	الشاعر العربي	06
أيها– أيتها	البرق	البرق	03
	سليل الصعاليك	الطفل(الشاعر	05
	النحلة والغبار	المواطن الجزائر	06
ها	لعنة الحطيئة	الشاعر العربي	03

الجدول 2: أدوات النداء الواردة في ديوان " براءة " للشاعر عثمان لوصيف.

2- الإشاريات الزمانية:

الإشاريات الزمنية عناصر إشارية « وهي كلمات تدلّ على زمان يحدّده السياق بالقياس إلى زمان التكلّم ، فزمان التكلّم هو مركز الإشارة de iccenten الزمانية في الكلام فإذا لم يُعرف زمان التكلّم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ فقولك مثلا : بعد أسبوع يختلف مرجعها إذا قلتها اليوم أو قلتها بعد شهر أو بعد سنة ، وكذلك إذا قلت نلتقي الساعة العاشرة ، فزمان التكلّم وسياقه هما اللذان يحدّدان المقصود بالساعة العاشرة صباحا أو مساء من هذا اليوم أو من يوم يليه »[1].

فالإشاريات الزمانية تدل على الزمن المرتبط بسياق الحديث وهي تختلف باختلاف المرجع الذي تدلّ عليه ، وتختلف كذلك باختلاف زمان التكلم والسياق الذي ترد فيه .

ومعناها لا يتضح إلا بالإشارة إلى زمان بعينه بمعيّية زمان التكلّم « فلحظة التلفظ هي المرجع ولهذا يجب أن نربط الزمن بالفعل ربطا قويّا في مرحلة أولى ونربط كذلك بين الزمن والفاعل لأهميته الكبرى في مرحلة ثانية ، ومن أجل تحديد مرجع الأدوات الإشارية الزمانية وتأويل الخطاب تأويلا صحيحا يلزم المرسل إليه أن يدرك لحظة التلفّظ فيتخذها مرجعا يُحيل عليه ، ويؤول مكونات التلفظ اللغوية بناء على معرفتها »[2].

وتختلف الإحالة التي تُشير إلى الزمان باختلاف السياق لأنها « قد تستغرق المدة الزمانية كلذها كأن يُقال اليوم الأربعاء وقد تستغرق مدّة محدّدة من الزمان كأن يُقال : ضرب زيد عمرا يوم الخميس ، فضرب زيد عمرا لا يستغرق يوم الخميس بل يقع في جزء منه ، وقد يتّسع مدى بعض العناصر الإشارية إلى الزمان فيتجاوز الزمان المحدّد له عُرفا إلى زمان أوسع »[3] فالإحالة باستعمال إشارة دالة على الزمن قد تستغرق الزمن كله وقد تستغرق بعضا منه فقط ،

---

[1] محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي ، ص19.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية ، ص 83.

[3] محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي ، ص 20.

وقد تشمل مدة زمنية طويلة ، وكل هذا مرهون بالسياق الذي تُستعمل فيه هذه العناصر الإشارية الخاصة بالزمن ، وتجدر الإشارة إلى أن عامل الزمن في اللغة يتحدّد بواسطة مجموعة من القرائن وهي التي « تتحدّد بجوار الأفعال عند نهايتها أو بواسطة الظروف (ظروف الزمان) التي تُدعى بالمبهمات الزمانية : الآن ، اليوم، الغد، أمس ، الأسبوع الماضي ...أما لحظة الحديث أو الخطاب فتبقى المحور الذي تُرتّب بواسطته مبهمات الزمن ، ولتحديد مختلف هذه المبهمات تبعا لأزمنتها تقترح " أوركيوني " هذا التصنيف :

1- المبهمات التزامنية: استعمالها ودلالتها يقترن بالحاضر.

2- المبهمات القبلية: زمنها انقضى وفات .

3- المبهمات البعدية: الزمن الذي لم ينقض بعد.

4- المبهمات الحيادية : زمنها غير محدود ، ودُعيت بهذا الإسم لأنها تخرج عن المبهمات المحدّدة بسبب اختلافها عنه[1]» فالملاحظ من خلال هذا التصنيف لمبهمات الزمن أن زمن الحديث أو الخطاب يُعتبر فاصلا بين الزمن الماضي والحاضر، ولا يمكن للغة أن تجعل الزمنين في المستوى نفسه لأن كلا منهما يعبّر عن فترة زمنية معيّنة ، ويمن توضيح المبهمات وزمنها من خلال الجدول الآتي :

[1] ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، ص 117.

	الظروف المبهمة	الظروف غير المبهمة
التزامنية	الآن	في ذلك الوقت ، إذا
القبلية	الأمس ، الأسبوع الماضي ، قبل ساعات، منذ قليل ، اليوم.	في ذلك اليوم بعد مرور أسبوع ساعات قبل ذلك
البعدية	غدا ، في الأيام المقبلة فيما بعد، بعد يومين السنة القادمة.	اليوم الموالي السنة الموالية بعد مرور يومين.
الحيادية	اليوم هذه الصائفة هذا الصباح	في يوم آخر

الجدول (3) : تصنيف الإشاريات الزمانية حسب " أركيوني"

وإن تعسّر الأمر في تحديد زمن المبهمات الحيادية فإنها تساهم في جعل المتكلم يوظف الأزمنة الثلاثة مثل قول[1] :

- اليوم كرهت حياتي .
- اليوم أنا كاره حياتي.
- اليوم سأكره حياتي .

ويمكن مقابلة هذه الصيغ بالأزمنة التي تُواكبها :

*الجملة الأولى: الحاضر ←——— الماضي

*الجملة الثانية: الحاضر ←——— الحاضر

*الجملة الثالثة:الحاضر ←——— المستقبل

والجدير بالذكر أن الإشاريات الزمانية تدل على الزمان الكوني الذي يشمل السنوات والأشهر والأيام والساعات ، وقد تدل على الزمن النحوي وقد يتطابقان في سياق الكلام « وقد يختلف الزمن النحوي عن الزمان الكوني فتستخدم صيغة الحال للدلالة على المضي ، وصيغة المضي للدلالة على الاستقبال فينشأ بينهما صراع لا يحلّه إلا المعرفة بسياق الكلام ومرجع الإشارة ، فالزمن النحوي لا يطابق الزمان الكوني في كثير من أنواع الاستعمال[2]» .

ومما يُلاحظ في الاستعمال اللغوي وجود بعض العبارات اللغوية التي لا تنفصل عن الإشارة الزمانية كبعض أنواع التحيات مثل : صباح الخير فهي لا تُقال إلا في الصباح ، ومساء الخير التي لا تُقال إلا في المساء .

ولا يصحّ استعمالها في غير الوقت الذي تدّل عليه.

وفي الحديث عن استعمال صيغة الماضي للدلالة على المستقبل والتي لا تُعرف إلا بسياق الكلام ومرجع الإشارة يحضر قول الشاعر في الخطاب الشعري (لعنة الحطيئة)[3] :

آن أن ألعنك

---

[1] المرجع السابق ،ص 118.

[2] محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي ، ص21.

[3] عثمان لوصيف : براءة ، ص66.

يا حطيئة ...يا نحس هذا الزمان
آن أن أطعنك
أيها العنكبوت الجبان
زمن قد مضى...
لم تكن ناعما.... لم تكن مستساغا
كلامك مر
وعزمك فوضى
تحاول أن تتخطى الرمال
ولكن كثبانها تتراكم دوما
ورجليك سائختان
أبت شفتاي اليوم إلا تكلما
بسوء فما أدري لمن أنا قائله
أمس حين نزلت بعبقر كنت الفتى
أمس حفت بك الجن
والطير والساحرات
وصلّت على قدميك المرايا
وشعشعت الأغنيات
وأمس اجتبتك فتاة البراري
وأهدتك خاتمها والكمان المجنح
أية ريح مدنّسة داهمتك؟
وأي سموم تخلّلت الدم ملء خلاياك ؟
آن أن ألعنك
يا حطيئة ...يا نحس هذا الزمان
آن أن أطعنك

أيها العنكبوت الجبان

المُلاحظ من خلال هذا الخطاب الشعري هو حضور مجموعة من الإشاريات الزمانية نحو: اليوم ، أمس ، الآن ولكن لحظة التكلم هي المحور الذي ترتبط من خلاله هذه الإشاريات .

ففي قول الشاعر « أبت شفتاي اليوم إلا تكلّما» فكلمة اليوم تزامنية تشير إلى اليوم الذي وجه فيه الشاعر خطابه للحطيئة الذي يرمز للشعراء .

وقد أعلن الشاعر غضبه وسخطه على كل الشعراء المعاصرين له . والشاعر لا يقصد بـ " اليوم" يوما محدّدا وإنما يقصد به فترة زمنية محدّدة بديتها اليوم الذي كتب فيه هذه القصيدة إلى اللحظة التي يعيشها كشاعر يرفع همومه ويلوم الشعراء على صمتهم إتجاه الوضع الذي هو سائد في وطنه وفي البلاد العربية بكاملها.

أما في قوله « أمس حين نزلت بعقبر كنت الفتى ، أمس حفت بك الجن والطير والساحرات » فإن " أمس" تحمل معنى القبلية لأن زمن التكلم يحيل على فترة عاش فيها الشاعر " الحطيئة" الذي يخاطبه الشاعر وقد مضت هذه الفترة.

كما وظف الشاعر إشارة زمانية تحمل معنى الحاضر كمافي قوله « آن أن ألعنك ، آن أن أطعنك » فالآن يقصد بها الشاعر إقناع المتلقي بأنه غاضب وساخط على الوضع وعلى موقف الشعراء وأنه سيبتعد عنهم في الزمن القريب لذلك وظف الظرف الزماني " الآن". ويتبيّن من خلال السياق ان الزمن الماضي هو الذي ترأس الأزمنة ثم يليه الزمن الحاضر والمستقبل لأن الشاعر يتحدث عن زمن مضى وعصر فات وهو الزمن الذي عاش فيه الحطيئة لذلك وظف صيغا نحوية دالة على الماضي مثل : حين نزلت ، أمس حفت بك ، أمس اجتبتك .

أما الصيغ النحوية الدالة على الحاضر فنجد : تحاول ، يغشاك ، أتبرأ ، أعلن ، أما الصيغ النحوية الدالة على المستقبل فتظهر في أفعال الاستمرار مثل : تواريه ، ستدفن ، تتخطى وفي هذا الخطاب تجاوب من الشاعر مع رفقائه الشعراء الذين وصفهم بالعجز والخيانة.

وبالإضافة إلى الإشاريات الزمانية التي سبق ذكرها نجد حضور معتبرا لعناصر أخرى تدل على الزمان في قصائد الديوان مثل: الصباح ، الليل ، الفجر ، كل يوم ، الأمسيات ، النهار الساعات، الخريف ، الفصول ، أيامه لياليه ، الآن .

وعلى صعيد البنية الزمنية النحوية نلاحظ هيمنة الفعل المضارع الذي يدل على الزمن الحاضر لأن زمن التكلم جاء مع وقوع الأحداث التي يتكلم عنها الشاعر بصفته مخاطبا.

3- الإشاريات المكانية :

الإشاريات المكانية لواحق تشير إلى كل مكان تشمله دلالة المتكلم ويدركه السامع ؟، وهي تُستعمل للإشارة « إلى مكان المتكلم وقت التكلم ، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع ، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قربا او بعدا أو وجهة ويستحيل على الناطقين باللغة أن يستعملوا أو يفسّروا كلمات مثل : هذا وذاك وهنا وهناك ونحوها إلا إذا وقفوا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان ، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر immediate physical context الذي قيلت فيه »[1] فالإشاريات المكانية الأكثر وضوحا هي كلمات الإشارة .

وتأتي أهميتها في الخطاب من خلال أن المتكلم لا يستغني عن المكان عند تلفظه بالخطاب لذلك فهي تساهم في إنشاء الخطاب عند التلفظ به .

وتختص بتحديد المواقع من خلال الانتساب إلى أماكن مرجعية أثناء الكلام ويمكن أن نحصر الإشاريات المكانية في اللغة في مجموعة من الأدوات مثل « هنا ، هناك ، فوق ، تحت ، يمين ، يسار ، أمام ، وراء ، وتُصنف بعض مراجع هذه الأدوات مثل (هنا) التي تدل على القريب و(هناك) انطلاقا من مكان المرسل عند تلفظه بالخطاب قربا وبعدا »[2] أي أن الإشاريات المكانية تختلف بحسب استعمالها بالنظر إلى المكان الذي يشير إليه المتكلم أثناء الخطاب قربا وبعدا ، كما أن بعضا منها يختص بتحديد الإتجاه الذي يقصده

[1] محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي ، ص21.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية ، ص 85.

المرسل ، لأن المتلقي في بعض الأحيان يصعب عليه تحديد موقع المتكلم بدقة إلا إذا استطاع أن يعرف الاتجاه الذي يقصده المرسل.

ولذلك فإن معرفة المواقع في الخطاب تقتضي معرفة شيئين هما « مكان التلفظ ، واتجاه التكلم ، لأنه قد يقود استعمال إشاريات المكان في غياب الدقة في التحديد عند التلفظ إلى اللُبس ، وتحاشيا لذلك اللبس فإنه يعمد المرسل إلى افتراض موقع المرجع ، وموقع المرسل إليه »[1].

وبالنسبة للإشاريات التي تدل على الإتجاه يظل معناها غامضا لو أُستعملت لوحدها في الكلام لذلك فإن تحديدها يجب أن يرتبط بمعرفة الشيء الدال فلا يمكن استعمالها إلا بإدراك المرجع المضاف إليها في ذهن طرفي الخطاب ، وهذه الظروف هي (وراء ، أمام ، فوق ، تحت، خلف).

وبعد تتبع الخطاب الشعري في ديوان " براءة" لاحظنا وجود مجموعة من الإشاريات المكانية ومن ذلك قول الشاعر في الخطاب الشعري « وهران » :

آه وهران
ساحلك الذهبي تغازله الشمس
والبحر يرفع رايات أعياده
والنوارس مجنونة
آه وهران
كم توهتني القطارات عنك
وكم مزقتني الخرائط ...
كم أحبك وهران
كم أحترق للموت بين يديك
أنا والبحر نعشق وهران ..نعبدها

[1] المرجع نفسه ، ص 85.

آه يا بحرها الزيزفوني !

يا حوضها الطهر[1]...

فالشاعر هنا يشير إلى مكان صريح هو " وهران" وينبغي على السامع أن يكون عارفا له تحديدا بكل ما يمكن أن يتعلق به وإلا أخفق في تلقي الخطاب .

فوهران تمثل جزء من وطن الشاعر لذلك راح يدقق في وصفها ويبرز مدى ارتباطه بالذكرى الجميلة التي لا يمكن نسيانها من خلال زيارته لوهران ، والقارئ إذا لم يعرف السياق الذي قيلت فيه القصيدة لن يدرك مدى تعلق الشاعر وتأثره بزيارته لوهران.

كما ورد ذكر بعض الأماكن والتي لا يمكن تفسير معناها إلا بالوقوف على ما تشير إليه مكانيا ، بالإضافة إلى الظروف المكانية التي تشير إلى القريب والبعيد كقول الشاعر في الخطاب الشعري « فوضوي » :

إذن .... هذه آية النار

كل ما كان... كان

الطفولة فوضى

البراءة فوضى

الحقيقة فوضى

ولكنني الآن متحد بالأشعة

فليهبط الليل ما شاء

ولتغرق الشمس

في لجة الشفق الدموي

فوضوي ...وأوغل في الموت

أطعن عاصفة الملح

أعبر كل الخطوط

[1] عثمان لوصيف : براءة ، ص49.

وأخترق المنتهى

حيث يهمي الرذاذ

ويشتعل الفرح النبوي

فوضوي هنالك خلف المدى

فوضوي هنا ..... فوضوي[1]

يتحدث الشاعر في هذا الخطاب الشعري عن رغبته في القيام برحلة مجهولة إلى مكان مجهول بكل مشاعره وأحاسيسه حيث يقارن بين واقع الذات الإنسانية ورؤاها الروحية ليتجاوز بذلك عالم الأحلام والرؤى .

وهنا نلمس السمة الصوفية التي تظهر واضحة للمتلقي ، واسم الإشارة "هذه " في الخطاب الشعري مرجعه النار التي يشير إليها الشاعر والتي يقصد بها توهج الحب ، والأمر كذلك بالنسبة لظروف المكان " هنا " و "هنالك" و " خلف" فإنها تشير إلى الفوضى التي يعيشها الشاعر مما يعزز الثورة على الواقع والرغبة في تجاوزه إلى عالم الأحلام و الرؤى .

والجدير بالذكر أن الشاعر وظف ظرف المكان " هنا " الذي يشير للقريب عندما تكلم عن العالم الذي يعيش فيه ، في حين وظف ظرف المكان " هنالك" الذي يشير للبعيد حينما قصد عالم الرؤى والأحلام.

هذا وبالإضافة إلى العناصر الإشارية التي تم ذكرها ، هناك حضور لبعض الإشاريات المكانية التي تم تحديدها في قصائد الديوان مثل: هنا ، هناك ، هنالك، خلف ، وراء وكلها عناصر إشارية مكانية.

4- الإشاريات الخطابية:

هذا النوع من الإشاريات يتداخل مع الإحالة إلى سابق أو لاحق وتسمى أيضا بالإشاريات النصية ، وقد أسقطها بعض الباحثين من أنواع الإشاريات انطلاقا من هذا اللبس وميزوا بينهما من خلال « أن الإحالة يتحدّ فيها المرجع بين ضمير الإحالة وما يحيل إليه مثل :

[1] المصدر السابق ، ص16.

زيد كريم وهو ابن كرام أيضا ، فالمرجع الذي يعود إليه زيد وهو واحد ، أما إشاريات الخطاب فهي لا تحيل إلى ذات المرجع ، بل تخلق المرجع فإذا كنت تروي قصة ثم ذكّرتك بقصّة أخرى فقد تشير إليها ثم تتوقف قائلا : لكن تلك قصّة أخرى فالإشارة هنا إلى مرجع جديد[1]».

وهذا هو الفرق الجوهري بين الإحالة وإشاريات الخطاب غير أن الفرق ليس حاسما مما يجعل الإحالة ضربا من ضروب إشاريات النص .

وقد تُستخدم إشاريات الزمان والمكان بديلا لإشاريات الخطاب « فكما يقال الأسبوع الماضي يمكن أن يقال الفصل الماضي من الكتاب أو الرأي السابق ، وقد يقال : هذا النص للإشارة إلى نص قريب أو تلك القصة إشارة إلى قصة بدأ بها القول »[2] فالإشاريات الخطابية تستعين بإشارات الزمان.والمكان ، وهي تشير إلى مرجع جديد في الخطاب.

ويمكن حصر هذا النوع من الإشاريات في العبارات التي تُذكر في النص مشيرة إلى موقف المتكلم « فقد يتحير في ترجيح رأي على رأي أو الوصول إلى مقطع اليقين في مناقشة أمر فيقول : ومهما يكن من أمر ، وقد يحتاج أن يستدرك على كلام سابق أو يُضرب عنه فيستخدم (لكن أو بل) وقد يُعن له أن يضيف إلى ما قال شيئا آخر فيقول : فضلا عن ذلك وقد يعمد إلى تضعيف رأي فيذكره بصيغة التمريض : قيل ، وقد يريد أن يرتب أمرا على آخر فيقول من ثم »[3] فهذه العبارات كلها إشاريات خطابية يستعملها المتكلم في مواقف مختلفة من خطابه اتجاه المتلقي.

وفي قصائد "عثمان لوصيف " ما يشير إلى استعمال هذه الإشاريات الخطابية ففي استعمال (لكن) الاستدراكية يقول :

كنت بين ذراعيك كالطفل

---

[1] محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي ، ص 24.

[2] المرجع نفسه ، ص 24

[3] المرجع السابق ، ص25.

لكنني لم أطق نظراتك...سحرك أقوى
تذكرت أمي المريضة
تذكرت رابية الرمل ، جمار واحتنا
طلعها ، بُسرها ، الدبس
السعف والماء... لكن سحرك أقوى
تذكرت كراستي ، ريشتي
سهوي ، وتمتمتي النبوية....لكن سحرك أقوى
تذكرت بابل ، شيراز، أندلسا
مصر والشام، لكن سحرك أقوى
تذكرت كل النساء وكل المدائن
كل الضباء وكل الجنائن
كلّ المفاتن...لكن سحرك أقوى[1]

فالشاعر في هذا الخطاب الشعري يصف مدينة وهران التي هي جزء من وطنه ، ويتغنى بسحر جمالها ويقارنها بمختلف البلدان، ويغازلها كامرأة هي أجمل النساء ، ونراه في كل مرة يستدرك حسنها ليجعلها الأفضل دائما . وفي موقف آخر خاص بالمتكلم يستدرك فيه على كلام سابق مستعملا (لكن) يقول في الخطاب الشعري « لعنة الحطيئة »[2] :

أيها العنكبوت الجبان
زمن قد مضى ....
لم تكن ناعما ... لم تكن مستساغا
كلامك مر
وعزمك فوضى

[1] عثمان لوصيف : براءة ، ص56.
[2] المصدر نفسه ، ص 66.

تحاول أن تتخطى الرمال

ولكن كثبانها تتراكم دوما.

في هذا السياق الشعري يشتم الشاعر الحطيئة ويقلل من شأنه ويعاتبه على صمته وهذا الأخير لا يمثل نفسه فقط وإنما هو رمز لكل شاعر عربي ضل صامتا منطويا في هذا العصر الذي يُعتبر عهدا سلبيا على الأمة العربية قاطبة ، وبالإضافة إلى العناصر الإشارية التي تم ذكرها ، هناك حضور لبعض الإشاريات الخطابية التي تم تحديدها في قصائد الديوان مثل: ثم ، لكن وكلها عناصر إشارية خطابية أو نصية .

5- الإشاريات الاجتماعية :

«هي ألفاظ تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حيث هي علاقة رسمية formal أو علاقة ألفة ومودّة intimacy »[1] .

وهذه الرسميات في الخطاب تظهر استعمال بعض العبارات في العلاقة الرسمية بين المتخاطبين ، كصيغ التبجيل في مخاطبة كبار السن نحو (أنتم) للمفرد المخاطب و(نحن) للمفرد المعظّم لنفسه ، وهي تشمل أيضا الألقاب « مثل فخامة الرئيس ، جلالة الملك، سمو الأمير ، فضيلة الشيخ ، كما تشمل أيضا السيد ، السيّدة ، الآنسة »[2] فهذه الكلمات تُصنف ضمن الإشاريات الاجتماعية ويقتصر استعمال بعضها على الرجال والبعض الآخر على النساء ، ويتفق الباحثون على أن الإشاريات الاجتماعية من المجالات المشتركة بين التداولية وعلم اللغة الاجتماعي .

لقد تحققت علاقة المودة في الديوان بين الشاعر ووطنه فجاءت خطاباته الوطنية حافلة بصيغ التعظيم وتتضح في قوله :[3]

آه ... وهران !

كل الشعاب تؤدي إلى مكة

---

[1] محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي ، ص 25.

[2] المرجع نفسه ، ص 25.

[3] عثمان لوصيف : براءة ، ص53.

الناس في كل عام يحجون...يعتمرون
ولكنني أنا وحدي حججت إليك
وقبّلت ركنك...خضّبته بالدموع
فلا تنكري توبتي وارحمي
آه ! لبيك....لبيك
أنت المحجة ...أنت المحبة
يا قدسية... يا لدنية
أنت البريئة...أنت النقية....أنت البهية

كما تحققت علاقة المودة أيضا بين الشاعر وشعبه (الشعب الجزائري) حيث صور لنا مأساة شعبه خلال مرحلة صعبة مر بها عانى فيها آلاما كبيرة وجرائم اقترفت في حقه أحست بها جميع شرائح المجتمع حيث يقول في الخطاب الشعري « النحلة والغبار»[1]:

من يختفي وراء هذه اللعبة الدموية ؟
من الرائي؟ من السامر ؟ من المجنون ؟
سبائخ نغم أخضر ....وشمس تطلع من أحشاء المأساة !
برعمت اللحظة ونور الهديل !
ونحن الصعاليك...نحن البائسون
نحن الأطفال الغاوون....
الذين يتوسّدون الشظايا
الذين يعانقون أسماءهم في الغبار
والذين يستنبتون الزنابق في رحم الفاجعة

كما نجد الشاعر يستعمل ألقابا يخاطب بها امرأة يحبها لم يذكرها باسمها تبجيلا ومراعاة للعلاقة التي تجمعهما إذ يقول :[1]

[1] المصدر السابق ، ص 35، 36.

آه !

يا امرأة تتوشح بالضوء

من عصر الشفق الأرجواني

أنت أميرة هذا الجنون المغامر

أنت إلهة هذا الغوى

أنت سيّدة الشعراء

وسيدة الأنبياء !

وأنا العاشق المتصوف

تجليتِ في أفقي

واكتشفتُ بأن سمائي

تختفي في عيون النساء ! !

وبالإضافة إلى هذه الإشارات الاجتماعية فقد ضمّن الشاعر خطاباته الشعرية الكثير من الألفاظ التي تشير إلى طبقات اجتماعية معيّنة مثل : الأطفال ، الفقراء ، النساء ، الناس ، المتشرّد ، الساقطة ، الساحر. وفي نهاية هذا الفصل يمكن القول أن ظاهرة التلفظ تطورت بفضل البحث في الإشاريات بأنواعها والتي هي جزء من التداولية بمعية الحجاج ، والأفعال الكلامية ، والاستلزام الحواري.

[1] المصدر السابق ، ص48.

الفصل الثالث : البنية الحجاجية في ديوان " براءة" لعثمان لوصيف

1- تداولية التركيب النحوي

أ - العناية بالمستوى التداولي في التركيب :

أ 1 - الزيادة في التركيب بالوصف

أ 2 - المبالغة في عرض الحال

ب- بناء التركيب بحسب العمليات الذهنية للمتكلم :

ب 1- أن يعرض تراكيبه بترتيب يوافق ترتيب أحاسيسه

ب 2- أن يرتب تراكيبه بحسب ورودها في الواقع

جـ - القوى الإنجازية في التراكيب النحوية

2- تداولية التركيب البلاغي :

أ- القيم التداولية في استعارات الديوان

ب- القيم التداولية في كنايات الديوان

جـ- القيم التداولية في تشبيهات الديوان

1- تداولية التركيب النحوي في ديوان (براءة) :

يهدف هذا المبحث إلى معرفة أهم خصائص التراكيب النحوية في الديوان ، ليس من جهة بنيتها النحوية أو الدلالية وإنما من حيث مدى ارتباطها بمبدإ التداول .

لأن النحاة بقدر ما اشتغلوا في بحوثهم بالمقال وأصوله التركيبية فإنهم اعتنوا أيضا بالمقام الخارجي « وما يحيط بالظاهرة اللغوية من ملابسات تكتنفها تتصل بالمتكلم أو المخاطب أو ظروف الكلام ، إلا أن هذه العناية جاءت بقدروذلك في معرض الكلام عن الفهم والإفهام أو لردّ ما يُعرض في بناء المادة اللغوية من ظواهر مخالفة إلى أصول النظام النحوي طلبا للاطراد المحكم أو في الحكم على ما يجوز أو ما لا يجوز من التراكيب ...أو غير ذلك مما يكون في إطار الحرص على اللغة في مستواها العادي المألوف الموصل إلى فهمها وتعلّمها »[1].

فالبحث في الجانب التداولي للتراكيب النحوية يهدف إلى الحفاظ على اللغة العادية بغية فهمها بين المتكلّمين لأن اللغة في استعمالها موجّهة لغرض ومقاصد معيّنة . وتختلف الوظائف التداولية للتركيب النحوي عن الوظائف التركيبية والدلالية ، وقد تبرز الأبعاد الثلاثة في وظائف معيّنة، وقد تجمع بين بعدين ، ومن أهم الوظائف التداولية للمكونات النحوية نجد « المبتدأ (معرفة المخاطب) ، الخبر (محطّ فائدة السامع) ، التمييز (تنبيه المخاطب على المراد بالنص على أحد محتملاته) ، المنادى (طلب إقبال المخاطب بحرف ناب مناب الفعل) ، التركيب(تمكين المعنى في نفس المخاطب وإزالة الاحتمال في التأويل) »[2] .

وسيهتم هذا المبحث بدراسة الجانب التداولي الذي يوازي المستوى الدلالي باعتباره بنية مهمة في اللغة ، وحينما يعالج دراسة التركيب اللغوي من حيث الوظيفة التداولية فإنه يندرج ضمن الاتجاه الذي يبحث في الخصائص الشكلية لعناصر التركيب المتعدّدة وبيان وظائفها

---

[1] عبد الحميد السيد : التراكيب النحوية من الوجهة التداولية ، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات ، المجلد السادس عشر ، ع2، الأردن ،20002، ص 62.

[2] المرجع نفسه ، ص 59.

ودراسة كل ما يجعل نصوص الديوان خطابا شعريا متداولا ، ومن أهم هذه المظاهر بروز العناية بالمستوى التداولي في عدد من تراكيب الديوان ، من خلال اشتمال التراكيب النحوية على وحدات لغوية تحدّد وجهة الجملة ودلالتها ، وهو ما يعرف في التداولية بالقوة الإنجازية في الجمل.

أ – العناية بالمستوى التداولي في التركيب :

إن العناية بالمستوى التداولي ظاهرة تميّز أغلب الخطابات « حيث إن المتكلّم ينجز كلامه ويصيغه بالنظر إلى أحوال مقامية محددة ، واعتدادا بمخاطب حاضر فعليا أو افتراضيا ولا يختلف النص الشعري عن هذا المبدإ العام ، وإن كان حضور المخاطب فيه افتراضيا غالبا »[1] وفي قصائد الديوان يتعدّد هذا الحضور ، ويهتم الشاعر في كلّ مرّة بأحوال مخاطبيه ، ويظهر ذلك من خلال بنية التراكيب نحو :

– توالي التراكيب الإنشائية لإثارة المخاطب وقيامه بالمطلوب ويظهر ذلك في قول الشاعر :

يا أيها الفلق المتوهج في رحم الليل
يا شعلة الروح
يا شهقة في دمي ...
صاعد نحو عينين لألاءتين
هما سدّتي وزمرّدتي
وهما نشوتي واشتفائي
آه !
يا امرأة تتوشح بالضوء
من عصر الشفق الأرجواني. [2]

[1] خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية ، مقاربة بين التداولية والشعر – دراسة تطبيقية – ص35.

[2] عثمان لوصيف : براءة ، ص 47.

فالشاعر في هذا النمط التركيبي يعمد إلى تعداد النداءات (يا أيها الفلق ، يا شعلة ، يا امرأة) ليحدث إثارة في مخاطبه ، فهذا التركيب يشمل إضافة إلى الدلالة بعدا تداوليا تشكّله أساليب النداء بتواليها مما يضمن استجابة السامع وميوله إلى الطلب المعروض عليه وهو سامع افتراضي يتمثل في امرأة يخاطبها الشاعر بصفته متكلّما.

1- الزيادة في التركيب بالوصف :

ويظهر هذا في إحداث الدهشة لدى السامع نحو قول الشاعر :

آه وهران !

ساحلك الذهبي تغازله الشمس

والبحر يرفع رايات أعياده

والنوارس مجنونة

والذرى تنتمي ...

ومشينا يدا في يد نزرع الرمل عشقا وعتقا.

مشينا...وكانت فراشة قلبي ترفّ

ومرآة عينيك عبر الرذاذ تشّف

وكان الأصيل يطوّقنا بالأغاني

ويكسر عبر خطانا قواريره العسلية

فيبرعم حلم وتشرق دنيا

ويختلج الماء، عبر المدى حبقا وحميّا

إلى أين يمضي بنا السكر يا عشق

أين حدود غواياتنا

أين ....أين القرار؟[1]

[1] المصدر السابق ، ص 49.

فالشاعر يعرض صورة لوطنه ويزيد في وصفها بتراكيب متشابهة ليحدث الدهشة في نفس مخاطبه ، وتعتبر الزيادة في الوصف في التراكيب السابق ة تهيئة لحال المتلقي الذي يوجه له الشاعر الخطاب ليستدرجه للإيمان بقضية هي حب الوطن والمحافظة عليه.

2 – المبالغة في عرض الحال :

نحو قول الشاعر :

صاعد في الحفيف ، في شهوة الوخز، في ريش السحاب

في الأهداب

صاعد...

صاعد...

دمي يشرب النار ، وروحي تطير من أثوابي

صهوتي البرق ، والتباريح أكوابي

وسرّ المجهول سرّ اكتئابي

أين يمضي بي التهابي ؟

وأين المنتهى ...أين آخر الأبواب ؟

للضياع للذوق ، للسحر ، وللموت خارج الأحقاب

خلّني ....خلّني فهذا اغترابي

هذه شهوتي ....وهذا عذابي.[1]

فالشاعر في هذا التركيب يصّور فيوضات النفس وتجلّيها ، ويدقّق في وصف غربته ، وهذا التركيب عمد إليه الشاعر بغرض الشكوى .

ومن حيث المستوى التداولي فإن الشاعر يعرض الفكرة مجملة في البداية بغية جلب انتباه المتلقي ، ثم ينتقل إلى تفصيلها جزءا جزءا ليصف للمتلقي العالم الذي يحلم به وهو عالم الروح حيث السكينة والصفاء ، والذي يختلف عن العالم الذي يعيش فيه محاطا بكلّ أنواع

[1] المصدر السابق ، ص 42.

القهر والغربة والاغتراب ، وهذا ما جعله يطلب عالما آخر غير العالم الذي يعيش فيه ، ولولا هذا التفصيل لما ضمن الشاعر اهتمام المتلقي الذي يعتبر سامعا لكلامه.

ب- بناء التركيب بحسب العمليات الذهنية للمتكلم :

« تعدّ دراسة التراكيب النحوية وتحليلها وفق ما يطابق العمليات الحاصلة في ذهن المتكلم من الغايات التي يهدف غليها النحو الوظيفي والدراسات التداولية عموما إذ أن هذه التحليلات على تفاوت كفايتها كفيلة برصد الخصائص البنيوية (الصورية) على أساس أنها تجلّيات لخصائص وظيفية مرتبطة بالغرض التواصلي المروم إنجازه »[1].

وبعد البحث في قصائد الديوان نجد في بعض خطابات الشاعر بوصفه متكلّما عددا من التراكيب النحوية التي تعكس العمليات الذهنية والتحويلات الحاصلة في ذهن الشاعر ومنها:

1- أن يعرض تراكيبه بترتيب يوافق ترتيب أحاسيسه :

نحو قول الشاعر :[2]

أجلس للمأساة وحيدا

أشرب نخب الهزائم

وحيدا... أسند حلمي إلى الشظايا وأسأل

من الساحرة في الفجائع والانهيارات ؟

من البهيّة التي ترقص بين الخرائب وفي دوائر الدخان ؟

فالملاحظ على هذه التراكيب في هذا الخطاب الشعري هو ورودها مرتبة بشكل متتالي بين الخبر والإنشاء حيث عرض الشاعر بصفته متكلما حالته المأساوية ،

وهو يرى الخراب والدمار في بلاده ، ثم يسال عن مصدرها والمتسبب في هذه المأساة التي أصابت وطنه ، وقد جاءت هذه التراكيب مرتبة بحسب ورود أفكارها في نفس الشاعر وفيها

[1] خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية ، مقاربة بين التداولية والشعر – دراسة تطبيقية – ص43.

[2] عثمان لوصيف : براءة ، ص 31.

انتقال للمتكلم من إحساس عام إلى أحاسيس جزئية ، ويظهر هذا على مستوى الجمل في الانتقال من الخبر إلى الإنشاء .

2- أن يرتب تراكيبه بحسب ورودها في الواقع:

نحو قول الشاعر في وصف مدينة وهران :

آه وهران ![1]

ساحلك الذهبي تغازله الشمس

والبحر يرفع رايات أعياده

والنوارس مجنونة

والذرى تنتمي...

فالشاعر في هذه التراكيب بدأ بوصف عام لمدينة وهران التي هي محاذية للبحر ، وراح يصف جمالها ، وهذه الصورة هي التي يعاينها المخاطب إذا كان حاضرا أمام موضوع الخطاب ثم يواصل في تفصيل المشهد ، وهذا التركيب مطابق لترتيب حصول المعاني في الواقع.

ج - القوى الإنجازية في التراكيب النحوية :

تشتمل التراكيب النحوية « على وحدات لغوية تحدّد وجهة الجملة ودلالتها ، وهو ما يعرف لدى التداوليين بالقوة الإنجازية للجمل »[2] فالقوة الإنجازية تشمل كل ما يواكب جملة ما أو نصا كاملا من مقاصد المتكلم أثناء التواصل مثل : الإخبار ، الإستفهام ، النداء وغيرها من الأساليب ، ومن أنواع القوى الإنجازية في الديوان ما يأتي :

- **النداء:** يعتبر النداء من الأدوات الانجازية التي تساهم في تحقيق مقاصد التركيب نحو قول الشاعر في الديوان :

أيها الطفل...يا طفلي الرافض المتمرد

---

[1] المصدر السابق ، ص 49.

[2] خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية ، مقاربة بين التداولية والشعر – دراسة تطبيقية – ص 35.

أيها الأشعث الأغبر المتمرد
لست مني إذن...
لست مني إذا لم تخوض مع الشنفرى وتأبط شرا
ولم تتسربل عجاجا وجمرا
لست مني إذا نمت بين الرفوف
ولم تتقيأ رقاهم
وما أودعوا فيك من حكمة
فتبدّدها في الأعاصير أو تتبدّد [1]

فقد خاطب الشاعر طفلا يسكن بداخله ، في ذاته مستعملا أسلوب النداء والذي يدل على استحضار التراكيب التي تصب في معاني التغيير والرفض والبحث عما هو أفضل، وهو نداء إيماني يوحي بتغلغل الإيمان بما هو أحسن في نفس المتكلم.

– **التكرار** : تتمثل القيمة التداولية للتكرار في اهتمام المتكلم بالمخاطب ، حين يعلم المتكلم أنّ الخبر الذي يوجهه إلى مخاطبه يثير في ذهنه عدّة احتمالات ، فيلجا إلى تكرار هذا التركيب نفسه من إزالة الاحتمالات وتأكيدا للفكرة التي يريد توصيلها للمخاطب ، ومن أمثلته في الديوان قول الشاعر :

أيها البدوي المعربد
يا سليل الصعاليك
يا سيدي في الغوى والتجرد
زلزل الأرض من تحت أقدامهم
زلزل الأرض من تحت أصنامهم
دك... دك المدائن لا تتردّد
واحتضن لعنتي

[1] عثمان لوصيف : براءة ، ص18.

آه! وأضرب بها التيه في كلّ فدفد

أيها الطفل يا صودتي في الخراب وأسطودتي في التجدّد! [1]

حيث تكرر الفعل (زلزل) مرتين والفعل (دكّ) مرتين كذلك ، فالشاعر يدعو إلى التمرد والثورة على الواقع وقد لجأ إلى التكرار من تأكيد فكرته وإقناع المتلقي بها ، ومن شواهد التكرار أيضا قول الشاعر :

آه وهران !

كم توّهتني القطارات عنك

وكم مزّقتني الخرائط....

في كلّ يوم يراودني ضمأ للمحال

وجوع لعينان تختفيا بعيدا .... بعيدا

ولكنني اليوم مشتعل بمراياك

منصهر برؤاك السماوية

اليوم ينحلّ كل سحاب

ويسقط كل حجاب

ولا شيء إلا جمالك... لا شيء إلا جمالك !

ها أنا ذا موغل في طقوسك

أشدو.....وأشدو....وأشدو [2] !

حيث تكررّت كلمة (بعيدا) مرتين وعبارة (لا شيء إلا جمالك) مرتين ، وكلمة (أشدو) ثلاث مرات ، فالشاعر في هذا الخطاب الشعري يؤكد فكرة يريد توصيلها للمخاطب وهي جمال مدينة وهران التي هي جزء من وطنه.

---

[1] المصدر السابق ، ص 19.

[2] المصدر نفسه ، ص 52.

– **النعت** : يستعمل المتكلم النعت لبيان المنعوت وتوضيحه ، وهذا ما يظهر مدى اهتمام المتكلم بالخطاب وحرصه على بلوغه إلى المخاطب من أجل فهمه ، ومن أمثلته في الديوان قول الشاعر :

أخرق العادة ....

أجتاح الطلول الدارسة

والنواميس

وأعشاب الحقول اليابسة

زارعا ناري في كلّ الزوايا

حاضنا وردة حبّي النازفة

أغنّي لخطايا

للغد الطالع من ليل القبور الدّامسة[1]

يعبّر الشاعر في هذه التراكيب عن رغبته في رحلة صوفية يتجاوز فيها كل ما هو واقعي ويبدو في كثير من المواقف ناقمًا على نفسه وعلى المجتمع من خلال نظرته للواقع وتظهر القوة الانجازية للنعت في اهتمام المتكلم به أكثر من المنعوت لأنه أكثر وضوحا (اليابسة ، الدامسة ، الدارسة) وفيها ما يجعل المخاطب يقتنع به.

2– تداولية التركيب البلاغي :

ستقف الدراسة في هذا المبحث على خصائص الصور البلاغية التي تعدّد استخدامها في الديوان وهي من الناحية التداولية اختيار من المتكلم لطريقة عرض خطابه ، والتي تندرج ضمن اهتمام الشاعر بالإقناع في خطاباته الشعرية، والجدير بالذكر أن البلاغة تعتبر لدى الدارسين للخطاب وفنون التواصل «أحسن ما يبرز العلاقات التداولية في اللغة ووظائفها ، كونها لا تميّز في دراسة اللغة بين مستوياتها : اللفظية والتركيبية والدلالية ، وأهم ما يميز مفهومها أن تُعنى بدراسة شروط سلامة الخطاب والتواصل ومظاهر الاقناعية فيه، حيث

[1] المصدر السابق ، ص 76.

يجتهد المتكلم في ضمان اقتناع مخاطبه بموضوع الحديث واستمالته إليه »[1] فالبلاغة تحمل بعدا تداوليا في اللغة يتعلق بضمان سلامة التواصل بين المتخاطبين ، كما أنه من دواعي استعمال الأساليب البلاغية في الخطاب يرجع إلى قيمة تداولية هي إقناع المخاطب بموضوع الحديث وجلبه إلى المتكلم من أجل توصيل الرسالة التخاطبية إلى المتلقي الذي يعتبر سامعامشاركا في الخطاب.

وعنصر الاقناعية لا يخل من أي خطاب عادي أو فنّي ، والخطاب الشعري بدوره غنّي بالأشكال الإقناعية التي يحرص عليها الشاعر باعتباره مخاطبا يحرص على تبليغ مقاصده إلى سامعيه ، ويستعمل في خطابه الشعري التعبير الصريح ، ويلجأ في بعض الأحيان إلى توظيف تعابير ضمنية حسب المواقف الشعرية.

ومن الناحية التداولية يختار المتكلم الصور البلاغية ليعرضها في خطابه « حيث يعدل عن التعبير الحقيقي المباشر إلى الحديث بصورة بلاغية تجعل من السامع مهتمّا بالخطاب في ذاته قبل أن يقف على المقصود منه ، وفي ذلك حرص من المتكلم على تنبيه مخاطبه لاستغلال اللغة ذاتها للوصول إلى قصوده ودواعيه »[2] فاستعمال الخطاب الضمني من طرف المتكلم يجعل السامع المتلقي يضع تركيزه على الخطاب من الناحية الشكلية اللغوية مما يزيد اهتمامه بالتأويل أكثر بغية الوصول إلى مقاصد المتكلم.

وفي توظيف الخطاب الضمني أثناء التواصل بين المتكلم ومخاطبه يلجأ المرسل إلى التمثيل وعقد الصلة بين صورتين ليتمكّن من الاحتجاج وبيان حججه ،وإقناع المتلقي فيما يذهب إليه في كلامه الذي يلمح فيه بالقصد عبر القصد المناسب للسيّاق حتى يفهمه المرسل إليه (المتلقي) ، ويستعمل المتكلم كل ما هو ما هو ضمني انطلاقا من التعبير عن القصد « بما يغاير معنى الخطاب الحرفي لينجز أكثر مما يقوله إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه فيعبّر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمرا في ذلك عناصر السياق »[3].

---

[1] خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية ، مقاربة بين التداولية والشعر – دراسة تطبيقية – ص 61.

[2] المرجع السابق ، ص 61.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية ، ص 370.

فالتعبير الضمني يتم وفق ألفاظ ضمنية تجسيدا لأفعال تنتج عن طريق اللغة يريدها المرسل من خلال كلامه ويصل إليها المخاطب عن طريق عملية استدلالية بعد تفسير كلام المتكلم ومعرفة قصده ، أي أن التلميح هو بمثابة المعبر للوصول إلى إنجازات لغوية إنجازية يريد المتكلم أن يحققها أثناء التواصل مع مخاطبه.

ومن بين الدواعي التي تجعل المرسل يلجا إلى استعمال الخطاب التلميحي في خطابه بدل الخطاب الصريح يذكر الباحثون عامل السلطة ومبدأ التأدب بين المتكلم والمخاطب . إضافة إلى رغبة المرسل في التهرب من مسؤولية الخطاب ، وإعلاء المرسل لذاته على حساب الآخرين وكذلك بداعي الخوف يستعمل المتكلم التلميح حتى لا يتّخذ المخاطب كلامه دليلا عليه.

وتظهر أهمية التركيب المجازي تداوليا في « دور المتكلم حيث يقوم على إرادته في التعبير بطريقة دون أخرى ، وعلى رغبته وحرصه على يقظة المخاطب ونشاط ذهنه في استقراء مراحل الاستدلال اللازمة للإحاطة بالمعنى المقصود »[1] فاستخدام المجاز له بعد يتعلّق باهتمام المتكلم بالمعنى وكيفية تلقي السامع للحديث ومدى اثر الصورة البلاغية ووقعها على نفسه ، أي أن المتكلم يتجاوز العادات التعبيرية المتعارف عليها لأغراض في ذهنه يرجو إدراكها من المخاطب .

وفيما يلي عرض لهم الصور البلاغية التي تمثل الخطاب التلميحي في ديوان " براءة " للشاعر " عثمان لوصيف " وبيان لدور السامع في إنجاح مقاصد المتكلّم (الشاعر) من خلالها ، باعتبار أن الشاعر وظّفها لأغراض تأثيرية في المخاطب ومن بينها :

أ- القيم التداولية في استعارات الديوان :

يستعمل المتكلّم الاستعارة في خطابه ليخرق بها التعابير السائدة والمألوفة من أجل أغراض في ذهنه يوجهها نحو المخاطب ويرجو إن يفهمها ، والاستعارة حاضرة بقوة في بحوث البلاغة واللسانيات « ولا يقتصر مفهومها على نقل اللفظ من مجال دلالي إلى آخر بل

[1] خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية ، مقاربة بين التداولية والشعر – دراسة تطبيقية – ص 62.

يتجاوزه إلى أن المتكلم يثبت بها معنى لا يعرفه السامع من اللفظ ولكنه يعرفه من معنى اللفظ . نحو (رأيت أسدا) فالدلالة كامنة في معنى أسد لا في لفظه ، وهذه أولى قيمها التداولية »[1] فالمعنى الاستعاري يقوم على أن المعنى الذي يدّعيه المتكلم هو المقصود إثباته ليدرك فيه تقوية للمعنى وتثبيتا له في نفسه ، وفي ذلك إقناع من المتكلّم الذي يفاجئ المخاطب بهذا

الاستعمال اللغوي وهذا الأخير يسعى للوصول إلى نوايا المتكلّم من خلا هذا الإبداع اللغوي.

ومما يجب الإشارة إليه أن الاستعارة في توظيفها الحجاجي تعلو استعمال الألفاظ الحقيقية « وذلك لأنه لا يفضّل المرسل استعمالا إلا لثقته بأنها أبلغ من الحقيقة حجاجيا وهذا ما يرجّح تصنيفها ضمن أدوات السلّم الحجاجي أيضا ، إذ تُعرّف الاستعارة الحجاجية بكونها تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الوقف الفكري أو العاطفي للمتلقي وهو ما يودّ المرسل تحقيقه »[2] ويظهر أيضا أن من دواعي استعمال التعبير الاستعاري في الخطاب هو التأثير في المتلقي إلى جانب إقناعه .

وهذه الدراسة تتناول استعارات ديوان « براءة » من خلال العناصر الآتية :

1- تداولية اللفظ الاستعاري

2- تداولية المتكلّم

3- تداولية المخاطب.

1- **تداولية اللفظ الاستعاري** : تظهر القيمة التداولية للفظ الاستعاري حين يستعمل المتكلم معنى غير مألوف في خطابه ، وينطلق المخاطب في اكتشاف أبعاد الاستعارة من خلاله ، وفي الديوان شواهد من الألفاظ التي تحمل قيما تداولية تقرّب الاستعارة التي يرمي إليها المتكلّم نحو :

- التعبير باللفظ الذي ينقل المعنى النفسي الذي يُهيمن على المتكلّم حال إنتاج الاستعارة نحو قول الشاعر في الخطاب الشعري " تلك صوفيتي " :

---

[1] المرجع السابق : ص 63.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية ، ص 495.

آه ! معبودتي ....
أوقدي النار إنّ الظلام يحاصرنا
والمدينة ترتجّ مذعورة
من دويّ الصواعق
والموت يركض عبر الشوارع
والزمهرير يزمجر في دمنا
أوقدي النار واقتربي
ثم قولي : أحبك
ولتتصهر هذه الطينة البشرية
في شعلة خالدة[1] !

ففي التعبير (والموت يركض) ينقل المتكلّم معنى الخطر ، لأن الموت يهاجم كل من يجده في المدينة ، وفي التعبير (والزمهرير يزمجر في دمنا) ينقل معنى البرد الذي يعلو صوته في الجسم ، وفي هذا التعبير يصور الشاعر نفسه وهو في حالة خيال صوفي .

كما يصور روحه الثائرة المتمرّدة التي لا تأبى الوقوف والانتظار ، وهذه الألفاظ الاستعارية تحيل على أشياء مادّية في الواقع ، ولكلّ منها إحالة على صفة حدوثها ، فكلمة. (يركض) في التعبير الأول تحمل دلالة الانتشار لأن الموت يغطّي المكان ، وكلمة (يزمجر) تحمل دلالة الاستمرارية في الشعور بالبرد .

وهذه الأبعاد التي حمّلها المتكلّم لهذه الألفاظ الاستعارية توحي بتعلق الشاعر بامرأة جعلها رمزا للذات الإلهية التي يذوب فيها الشاعر ويهاجر إليها بكلّ أحاسيسه ليبرز للمتلقي القيم الروحية الصوفية التي يحاول نشرها .

2-تداولية المتكلّم : تظهر القيمة التداولية للمتكلّم في الاستعارة في إحداث الدهشة في نفس المخاطب لموافقته واستمالته ، وهذا ما يجعل المخاطب يفهم مقصود المتكلّم أثناء تلفّظه ،

[1] عثمان لوصيف : براءة ، ص46

ويساعده في فهم الخطاب السياق الذي أنتج فيه بكلّ عناصره، ومن شواهد ذلك في الديوان أن يدّعي المتكلّم حصول فعل باستحضار ما لا يمكن استحضاره نحو قول الشاعر :

آه وهران !

ساحلك الذهبي تغازله الشمس

والبحر يرفع رايات أعياده

والنوارس مجنونة[1]

فقد استحضر الشاعر في هذا التركيب الاستعاري معنى (الحب) و(الفرح) ذي الدلالة المعنوية إلى المجال المادّي ليثبت أن كل شيء جميل الوطن من خلال وصف مدينة وهران حيث نقل الألفاظ من دلالتها الأصلية إلى مجالات دلالية أخرى لثبوت المعنى وحصوله حيث يدرك السامع قيمة الوطن ومدى جماله.

3- تداولية المخاطب : « تعتمد الاستعارة كثيرا على السامع لأنه هو الذي يتمثّل أثرها ويفرز مجالاتها ، ليقف على مقصود المتكلّم من خلالها ، وبذلك فإنها تكتسب تداوليتها من التأثير الذي تُحدثه في المتلقي في سياق معيّن »[2] فالمخاطب هو الذي يقوم بتأويل القول الاستعاري من أجل أن يختار الدلالة المقصودة التي يرمي إليها المتكلّم ، ومن بين مظاهر أثر الاستعارات على المخاطب أن يحسّ هذا الأخير (المخاطب) بمعنى لم يكن يتوقّعه ممّا يبعث على طلب الإحاطة به .

ومن بين شواهده في الديوان قول الشاعر:

سلّة من نجوم يراودها الماء

أيقونة تتحمّم بالزنجبيل

بنفسجة تتسلّق قلبي

سنونوة تتكحّل بالعشق

---

[1] المصدر السابق ، ص 49.

[2] خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية ، مقاربة بين التداولية والشعر – دراسة تطبيقية – ص 70.

عنبرة تتنفّس بين الخمائل

أسطورة من جمان ...وهمهمة غسقية![1]

فالمخاطب يشعر حين تلقّيه للتركيب الاستعاري (بنفسجة تتسلّق قلبي) بالحالة التي يعيشها المتكلّم ، وهذا ما يدعوه إلى البحث عن دلالة العبارة التي أبدعها ذهن المتكلم.

ب- القيم التداولية في كنايات الديوان :

تشتمل الكناية على عدد من القيم التداولية المرتبطة بالمتكلم أو المخاطب « والمراد بالكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فل يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود ، فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه ، والكناية تقوم على مبدأ الترابط الجواري ، كما تعتمد على العلاقات القائمة على تجارب المتلقين المادية وممارستهم المعيشية ، ومشاهداتهم العينية ومعتقداتهم الفكرية ، والثقافية »[2] فالمتكلم يستعمل التعبير الكنائي في خطابه من خلال استحضار معنى موازي للمعنى الذي يريد أن يبلغه للمخاطب .

ويراعي في ذلك خصوصيات الخطاب مع المتلقي فلا يأتي بمعنى غريب أو مبهم يستعصى على المخاطب فهمه ، والمعنى في الكناية عبارة عن صورة يتم الانتقال فيها من معنى العبارة الكنائية إلى المعنى المقصود من الكناية .

وتحتوي الكناية « على معنى حرفي ظاهر في اللفظ وآخر ضمني ، يرمي إليه المتكلم وينبغي أن يدركه السامع إستنادا إلى ظروف الخطاب المختلفة لكنّها لا تفرّق في الوقوف عند المعنى الصّريح كما تفعل الاستعارة في مبدأ الإدعاء ، إذ يمكن أن يجد المخاطب في التركيب الكنائي ما يحيل إلى مقصود المتكلّم ، مع إمكان قيام ذلك المعنى الصريح في الواقع »[3] فالكناية تحيل إلى المعنى الحقيقي وتلمّح إلى ما يلزمه ، والعناصر التداولية

---

[1] عثمان لوصيف : براءة ، ص 50.

[2] قالط بن حجي العنزي ، التداولية في التفكير البلاغي – دراسة في غرر البلاغة لهلال بن محسن الصابئ – عالم الكتب الحديث ، الأردن، ط1، 2014، ص 241.

[3] خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية ، مقاربة بين التداولية والشعر – دراسة تطبيقية – ص 73.

للكناية تتداخل مع العناصر التداولية للاستعارة في كثير من الجوانب ، وفيما يلي عرض لتداولية الكناية في الديوان .

تظهر القيمة التداولية للفظ الكنائي عندما « يستثمر المرسل كفاءته التداولية عند إنتاج خطابه باستعمال الإستراتيجية التلميحية مدركا أن هناك طرقا عديدة لتقول شيئا ما وأنت تعني به شيئا آخر»[1] .

وتظهر هذه القيمة في الديوان من خلال إشارة الشاعر إلى المعنى المقصود باستعمال تعابير كنائية ، ومن شواهد الكناية في الديوان أن يحيل اللفظ الكنائي إلى معنى نفسي في ذهن المتكلّم ليستدرج السامع للوصول إلى الدلالة الكاملة ليظهر في قول الشاعر :

قادم من كهوف الحماقات والموت

من زمن حجري

ومن حشرجات الدّمن

قادم من جحيم المدن

وبلادي وراء الغمامات تشعل قنديلها

وتسائل كل شهاب يمرّ [2]

فالألفاظ (كهوف الحماقات) ، (جحيم المدن) ، تحيل إلى معان نفسية في ذهن المتكلّم وفيها إشارة مناسبة للمخاطب لكي يحيط بهذه المعاني التي تصف ذكريات مرّ بها الشاعر في أيام سابقة .

والشاعر في هذا المقام يصف حالته عند زيارته لمدينة وهران ، ويشكو آلامه النفسية للمخاطب قبل قدومه إليها. « ويحظى المتكلّم في الكناية بقيمة تداولية بارزة تتمثل في أنه يتعمّد أن يخبئ الدلالة التداولية خلف الدلالة الحرفية للتركيب الكنائي حيث يتفادى التصريح إلى التلميح مراهنا على فطنة المخاطب وذكائه في اكتشاف ذلك ، وحريصا على سرعة

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية ، ص 384.

[2] عثمان لوصيف : براءة ، ص 51.

فهمه للدلالات الضمنية التي تكتنف العبارة »[1] وتظهر أيضا القيم التداولية للكناية في خطاب الشاعر من خلال استعماله لبعض الألفاظ التي تحيل إلى إعجاب يعتريه ، وموقفه منه في الخطاب ومثل ذلك في قوله :

منصهر برؤاك السماوية

اليوم ينحلّ كلّ سحاب

ويسقط كلّ حجاب

ولا شيء إلا جمالك ....لاشيء إلا جمالك ! [2]

فالشاعر في هذا التعبير يشير إلى جمال مدينة وهران غير العادي ، والتركيب الكنائي يحيل إلى مدى إعجابه بها ، وفي هذه الإحالة يوجد سند للمخاطب حتى يحيط بالمعنى ويصل إلى الدلالة الأقرب ، وفي هذا التركيب الكنائي إحالة أيضا إلى تذكر ما مضى من ذكريات مرّ بها الشاعر في حياته.

جـ- القيم التداولية في تشبيهات الديوان :

يعتبر التشبيه في الخطاب من أهم أساليب الاقناع والحجاج ، والمتكلم يستعمله لإبراز المعاني المجردة في صور حسية جميلة وموجزة ولها وقع في النفس ، والتشبيه « يقوم على وضوح المعنى وجودة النظم اللذين يتوخاهما المتكلم في حديثه ، حيث يحرص على أن يكون معناه واضحا رغبة في تأكيد المعنى عن طريق التصوير والإقناع الحسي فضلا على أن الصورة التشبيهية ذاتها ينبغي أن تكون مطابقة للواقع ، مدركة بالحواس وتلك هي بعض القيم التداولية التي تكتنف مفهوم التشبيه من ناحية المتكـلم بعدّه منتجـا للخطاب »[3]

فالصورةالتشبيهية تزيد في تأكيد المعنى وتوضيحه من خلال الاستعمال الحسي .

وهذا ما يزيد في إقناع المتلقي وفهمه أكثر لدلالة الألفاظ التي يوجهها المتكلم إليه.

« والمتلقي في الصورة التشبيهية مدعو إلى إعمال كفايته الثقافية والمنطقية لتبيّن المسار

---

[1] خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية ، مقاربة بين التداولية والشعر – دراسة تطبيقية – ص 76.

[2] عثمان لوصيف : براءة ، ص 52.

[3] خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية ، مقاربة بين التداولية والشعر – دراسة تطبيقية – ص 81.

الحجاجي المنتهج في التشبيه، فللتشبيه إذن قوة تماثل الاقناع الخطابي (البلاغي) »[1] أي أن المخاطب حتى يفهم معنى كلام المتكلم الذي يحمل صورا تشبيهية في ألفاظه عليه أن يتبع مسارا منطقيا ، وأن يكون ذا ثقافة تسمح له بتأويل معاني العبارات التشبيهية غير الصريحة.

والتشبيه في بعده الحجاجي هو « عقد الصلة بين صورتين ليتمكّن المرسل من الاحتجاج وبيان حججه ، وقد عقد الجرجاني فصلا في مواقع التمثيل وتأثيره لأنّه مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها بهاء ، فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم وإن كان حجاجا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر ، وبيانه أبهر »[2] .

فاستعمال المتكلم للتشبيه يكون لبيان ما يريده ولإقناع المتلقي فيما يذهب إليه ، أي أن المتكلم يستعين بالصورة التشبيهية للاحتجاج رغبة في إقناع المتلقي ، وبهذا يكون التشبيه إضافة إلى أنه وسيلة بلاغية تساهم في الإمتاع هو كذلك وسيلة حجاجية تعبّر عن حجج تجعله أكثر تأثيرا في المتلقي.

« والتركيب التشبيهي يهدف غلى إخراج الأغمض إلى الأظهر ليكتسب وضوحا وبيانا وتوكيدا وإيجازا وهي قيمته التداولية »[3] وتظهر القيمة التداولية للتشبيه عند المخاطب من خلال معاني التشبيه التي يتلقاها ومدى تأثيرها عليه ، وقد استخدم الشاعر " عثمان لوصيف " عددا من التشبيهات في قصائده منها :

أن يكون التركيب التشبيهي قائما على التفصيل من أجل إيضاح الدلالة للمخاطب نحو قوله:[4]

كنت بين ذراعيك كالطفل

لكنني لم أطق نظراتك ...سحرك أقوى

---

[1] قالط بن حجي العنزي ، التداولية في التفكير البلاغي – دراسة في غرر البلاغة لهلال بن محسن الصابئ – ص 245.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية ، ص 497.

[3] خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية ، مقاربة بين التداولية والشعر – دراسة تطبيقية – ص 82.

[4] عثمان لوصيف : براءة ، ص 55.

تذكرت حبي القديم
سماواتي السندسية ، شبابة الوحي
بدري وساحرة الليل.... لكن سحرك أقوى

فهذا التركيب التشبيهي يحمل سمة التوكيد التي تمثلت في استحسان صورة الشاعر مع مدينة وهران ، فعلاقته بهذه المدينة تشبه علاقة الطفل بأمه .

وكل جزئيات التشبيه تحمل معاني حب الوطن وتقربه من النفوس وتحبّبه غلى القلوب وإبراز وجه الشبه بين الشاعر ووطنه (كنت بين ذراعيك كالطفل) فالمشبه هو الشاعر والمشبه به هو الطفل ، وفي ذلك تسهيل للمخاطب حتى يدرك الصورة ويبلغه المعنى كاملا.

وقد يكون عرض التشبيه بتعداد العناصر التشبيهية في الصورة الواحدة نحو قول الشاعر حين يصف مدينة وهران:

آه يا بحرها الزيزفوني[1]
يا حوضها الطهر....
هذي يدي كبّلتها التوافه والترهات
وهذا دمي سمّمته النوامس والشعوذات
وهذي عيوني غزتها العناكب
حتى كأن الحقيقة وهم
كأن الذي يذبح الحلم شهم
كأن الجمال شذوذ وزندقة
والرّداءة فن وفلسفة
وكأن الصداءة درب إلى الله
والموت فيك خزعبلة .....
آه يا بحر وهران

[1] عثمان لوصيف : براءة ، ص 61

أناشدك الدمع والزفرات

آه دعني أمرغ فيك همومي

وأغسل قلبي وأوردتي

فقد تعددت التراكيب التشبيهية في أربعة أسطر ، وكل صورة استقلّت ببيان غرض معيّن لتقرّب إلى ذهن المخاطب مدى إعجاب الشاعر بمدينة وهران .

لذا وصف فيها مظاهر وأماكن متعددة ، وفي هذا المشهد كثافة تشبيهية في اربع جمل تصدرت ب (كأن) وفيها طاقة حجاجية برفع القيمة الجمالية لمدينة وهران.

ومن بين التراكيب التشبيهية أيضا التي وردت في الديوان أن يكون التشبيه قائما على بيان الهيئة وحال المشبه نحو قول الشاعر[1] :

آن أن ألعنك

يا حطيئة ....يا نحس هذا الزمان

آن أن أطعنك

أيها العنكبوت الجبان

فهذا المشهد التشبيهي فيه طاقة حجاجية بتحقير المشبه بغرض التهكم والسخرية.

ومما وورد في الديوان من تراكيب تشبيهية قائمة على الإجمال تحريضا للسامع على تفصيل وحداتها من أجل إنتاج الدلالة نذكر قول الشاعر[2] :

قادم من كهوف الحماقات والموت

قادم من جحيم المدن

وبلادي وراء الغمامات تشعل قنديلها

وتسائل كل شهاب يمرّ

بلادي صنوبرة أرقتها الصبابة

---

[1] المصدر السابق ، ص 66.

[2] المصدر نفسه ، ص 51.

فالتركيب التشبيهي في عبارة (بلادي صنوبرة أرقتها الصبابة) يحمل علامة التوكيد التي تمثلت في نقل الصورة إلى ذهن السامع على سبيل التشبيه البليغ « ومن قيم التشبيه البليغ أنه يتضمن إدعاء من المتكلم على زوال الفروق بين طرفي التشبيه وأن المشبه هو نفسه المشبه به ، وفي ذلك حث للمخاطب أن يأخذ المعنى واضحا على وجه إدعائه بعد أن يقوم بعدد من العمليات الذهنية لتفصيل وحدات الصورة وتحصيل هذا الإدعاء »[1] .

وفي نهاية هذا المبحث يمكن القول أن الصور البلاغية تحمل قيما تداولية ، وأن الاستعارة والكناية والتشبيه وسائل بلاغية تساهم في الإمتاع والتأثير .

وهي أيضا حجاجية لأنها تعبر عن حجج يستعملها المتكلم للتأثير في المخاطب والأساليب البلاغية قد تبتعد عن السياق البلاغي « لتؤدي وظيفة لا جمالية إنشائية كما هو مطلوب في سياق البلاغة بل هي تؤدي وظيفة إقناعية استدلالية كما هو مطلوب في الحجاج ومن هنا يتبيّن أن معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية ولإفادة أبعاد تداولية »[2].

ونستخلص في نهاية الفصل أن الشاعر " عثمان لوصيف" قد وظف في ديوانه الموسوم ب " براءة" مجموعة من الآليات الحجاجية اللغوية والبلاغية التي سوّغت له تقديم الحجج المؤدية إلى نتائج قصد إبلاغها إلى المتلقي لإقناعه والتأثير فيه.

[1] خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية ، مقاربة بين التداولية والشعر – دراسة تطبيقية – ص 84.

[2] صابر الحباشة : التداولية والحجاج – مداخل ونصوص – صفحات للدراسات والنشر ، دمشق ، سورية ، ط1 2008 ، ص 50.

الخاتمـــــة

لقد أفضت الدراسة في هذا البحث إلى جملة من النتائج تتعلق في جملتها بالخطاب الشعري وضبط المصطلحات في مجال التداولية وتحليل الخطاب، والعلاقة التواصلية القائمة بين المتكلم (المبدع) ، والمتلقي (القارئ) عبر النص الإبداعي (الشعري) مع اعتبار النص الشعري خطابا موجها إلى متلق مقصود حتى وإن كان افتراضيا .

لأن الخطاب من منظور تداولي مرتبط بمجموعة من الاعتبارات منها : المتكلم والمستمع والمقصدية ومقام الخطاب ، وقدرة المستمع على الاستنباط والاستنتاج ، وقد انطلق هذا البحث من افتراضات مسبقة دارت في مجملها حول إمكانية التحليل التداولي للنص الشعري ، وقد اتخذّ من ديوان شعري عنوانه " براءة " للشاعر الجزائري " عثمان لوصيف " فضاء تطبيقيا واستخلص البحث النتائج التالية :

– يعدّ الخطاب الشعري في ديوان " براءة" خطابا صوفيا في أغلبه تتخلّله بعض الخطابات الاجتماعية ، ولذلك تنوعت الألفاظ والتراكيب بين الوطنية والاجتماعية التي لها قوة الوقع على النفوس ، والتراكيب التي تحمل بعدا صوفيا يقوم على المغامرة والبحث الدائم في العوالم المجهولة لينقل للقارئ صورة صادقة عمّا يجول في خاطره من حيرة مُحملا نصوصه مختلف الأسئلة التي تعمل على فضح الواقع وكشف ما فيه من ظواهر سلبية .

– يشيع في الديوان استحضار صور الماضي ، وكأنها حاضرة أمام القارئ ، وفي ذلك قيّم تداولية تدعو لاستدراج السامع للوقوف على الأحداث كما هي حاصلة في الواقع .

_ استخدم الشاعر العديد من الصور البلاغية التي أدت مقاصده على نحو من العناية والاهتمام بنص الخطاب والمخاطب ، ومن ذلك توظيفه لمجموعة من التراكيب الإستعارية والكنائية والتشبيهات في الديوان ، والتي أدّت وظيفة المشير تداوليا وأحالت على مقاصد الشاعر بوصفه متكلما يوجه خطابه إلى سامع . إضافة إلى أن الشاعر لجأ إلى استعمالها انطلاقا من إعجابه ومواقفه نحو المواضيع التي تكلم عنها ، لذلك فإن هذه التراكيب البلاغية تشير إلى معان نفسية لدى المتكلّم (الشاعر) .

_ الإشاريات هي علامات لغوية لا يتحدّد مرجعها إلا في سيّاق الخطاب ، وبعد دراستها تداوليا من خلال بعض النماذج في الديوان لا حظ الباحث ورودها بجميع أنواعها خاصة الاشاريات الشخصية والزمانية والمكانية ، أما بالنسبة للزمن النحوي فقد تنوع بين الماضي والحاضر والمستقبل ، وهو مطابق للزمن الكوني الذي لا يتناقض مع سياق الكلام .

_ تنوعت مقاصد الشاعر في الخطابات الشعرية في قصائد الديوان تبعا لمقتضى السياقات التي وردت فيها ، وقد كانت القصدية موافقة لمعاني الملفوظات المكونة للخطاب الشعري ، وفي بعض الأحيان تتعارض القصدية تماما مع المعنى الظاهر ، ولا يمكن التوصل إلى المعاني الحقيقية المقصودة في سياق الخطاب.

_ يعتبر الحجاج أحد أهم المباحث التداولية ، ولا يتحقق في اللغة إلا من خلال توظيف مجموعة من التقنيات ، وقد استخدم الشاعر مجموعة منها في خطاباته الشعرية من اجل تقديم حجج يبني عليها قصده من خطابه من اجل إقناع المتلقي والتأثير فيه ، وقد تنوعت بين آليات بلاغية وأخرى بلاغية .

وإضافة إلى هذه النتائج كشف البحث عن مجموعة من النتائج النظرية حول التداولية وتحليل الخطاب الشعري نلخصها فيما يلي :

_ إن أهم عملية في قراءة النصوص الشعرية قراءة تداولية هي تشكيل خلفية معرفية تتعلق بمعرفة لغة الإنتاج الشعري والتنبيه إلى استخدامات هذه اللغة في سياقات مختلفة.

يقوم الشعر على افتراض التواصل والاستعمال حتى وإن لم يتحقق ذلك في الواقع.

_ كل عمل شعري يعني تواصلا بين المبدع والمتلقي ، و هذا النوع من التواصل يكون عبر رسالة خاصة ذات محتوى متصل بالقيم المختلفة.

_ يحمل الخطاب الشعري رؤى المتكلم ومواقفه ويطمح إلى التأثير في سلوك المتلقي وآرائه.

_ استطاع المنهج التداولي باعتباره منهجا لسانيا جديدا أن يعيد السلطة للكلام والمتكلم وهو منهج يهتم بدراسة الأسس التي يقوم عليها استعمال اللغة استعمالا اتصاليا.

_ تستخدم التداولية اللغة كأداة يستعملها المتكلم لتبليغ مقاصده إلى المخاطب ، وللتأثير فيه بحسب هذه المقاصد ، وبقدر ما تكون العبارات اللغوية مألوفة للمخاطب وممارسة باستمرار يكون التبليغ أحسن والتأثير أكثر.

_ تعتبر التداولية حقلا معرفيا أعاد النظر في المبادئ التي تتأسس عليها الأبحاث اللسانية السابقة والمتمثلة في :

أسبقية الاستعمال الوصفي والتمثيلي للغة

أسبقية النظام والبنية على الاستعمال.

أسبقية القدرة على الإنجاز.

أسبقية اللغة على الكلام.

_ إن أهم ما جاءت به التداولية هو السعي غلى المساواة بين لسانيات اللغة ولسانيات الكلام ، واهتمامها بالخطاب بكونه إنتاجا لغويا يُنظر إليه في علاقاته بظروفه المقامية والسياقية .

– أولت التداولية أهمية كبيرة لأقطاب العملية التواصلية ، فاعتنت بالمتكلم فاعتنت بالمتكلم ومقاصده بوصفه عنصرا فاعلا في عملية التواصل ، ومنحت للظروف السياقية أهمية بوصفها عناصر مساعدة في تأدية هذه المقاصد ، وحصرت طريق الوصول إلى المعنى الذي يقصده المتكلم في استغلاله للظروف السياقية.

_ لا يمكن حصر التداولية في وحدة معيّنة من الوحدات التي تنطلق من التقسيم المرتبط بالمكونات التقليدية للنظرية اللغوية ، فالظاهرة اللغوية لكي تتّم دراستها حال استعمالها لا يمكن حصرها في أي مستوى من التراكيب ، ويمكن أن ترتبط بأي نمط فيما يتعلّق بالشكل والمعنى.

_ ليست التداولية مكونا إضافيا للنظرية اللغوية وإنما تقدم نظرة جديدة ومختلفة تؤسس لرؤى ومعارف أخرى متشعّبة ترتبط بدراسة اللغة ، وتتعدّاها إلى أبعاد نفسية واجتماعية وفلسفية تؤثر في توجيه عمليات الفهم والتحليل والتأويل.

يعتمد تحليل الخطاب على اللسانيات وينطلق منها للارتقاء إلى تخصص جديد يبقى مرهونا بتحديد موضوعه واستقلاليته .

_ ساهمت التداولية بكلّ نظرياتها في إثراء مفاهيم تحليل الخطاب .

_ يتداخل تحليل الخطاب مع التداولية في المجال المفهومي في مجموعة من النقاط أهمها : الاهتمام بدراسة السياق بشكله العام ، أي المقام التواصلي والمعارف المشتركة بين المتخاطبين.

النظر في الخطاب أو النص باعتباره تواصلا إنسانيا ، والنظر في وظيفة الكلام مثل ما تنجزه اللغة عبر الأفعال الكلامية .

الانتقال من دراسة البنية التركيبية واللسانية للخطاب إلى دراسة كفاءته التداولية ، وهي وهي الكفاءة التي تتعلق أساسا بصلة الخطاب بالمقام التواصلي الذي أُنتج فيه مع الاهتمام بآثار المقام والتلفظ في الخطاب ، والنظر إليه في قوانين الخطاب التداولية.

_ المقاربة التداولية للنص الشعري تتميز باللامنهجية لانعدام الآليات التحليلية الموحّدة مما جعلها تخرج من باب المنهج إلى باب المقاربة.

_ البعد التداولي في الاستعمال اللغوي ليس الغرض منه المقاصد العملية فقط ، وهذا ما يظهر في الخطاب الشعري فالغرض منه إخباري قبل أن يكون إقناعيا عمليا ، لأن معظم الاستعمالات اللغوية في الخطاب الشعري مجانية ولا تنتج عنها أفعال ومقاصد عملية.

وفي الأخير نقول أن هذه الدراسة الموسومة بتداولية الخطاب الشعري في (ديوان براءة لعثمان لوصيف) لا تدّعي إحضار جديد بقدر ماهي محاولة لتقريب المنهج التداولي من النص الشعري اقترابا يقف على الصريح والضمني فيه ، معتمدة في ذلك على قيم البلاغة العربية ونتائج اللسانيات المعاصرة.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص

1- **المصادر:**

– **ابن منظور** : لسان العرب ، دار صادر، لبنان ، ط1990،1،مادة دول

– **ابن طباطبا** : عيار الشعر ، تحقيق عباس عبد الساتر ، مراجعة نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 1982

– **أبو الحسن حازم القرطاجني** :منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن خوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 3 ن 1986 م

– **عثمان لوصيف** : براءة ، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع ،1996، الجزائر

2– **المراجع العربية:**

- **بشرى البستاني** : التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، مؤسسة السياب ، بغداد، ط2012،1

– **جابر عصفور** : مفهوم الشعر ، دراسة في التراث النقدي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر، ط 5 ، 1995

– **جميل حمداوي** : التداوليات وتحليل الخطاب ، مكتبة المثقف ، المغرب ،ط1 2015

– **حمو الحاج ذهبية** : لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2

– **خليفة الميساوي** : المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم ، منشورات ضفاف ، بيروت ، ط2015،2

– **خليفة بوجادي** : في اللسانيات التداولية ،مقاربة بين التداولية والشعر دراسة تطبيقية،بيت الحكمة ، الجزائر ،ط1 ،2012

– **خليفة بوجادي** : في اللسانيات التداولية ، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2، 2012

– **محمد نظيف** : الحوار وخصائص التفاعل التواصلي – دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية –إفريقيا الشرق ، المغرب، ط1، 2010

– **محمد عبدو فلفل** : في التشكيل اللغوي للشعر ، مقاربات في النظرية والتطبيق ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ،ط 1 ، 2013

– **محمود احمد نحلة**: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، مصر،2002

– **محمود طلحة** : منوال الأصوليين في تحليل الخطاب ، دراسة في المبادئ التداولية ، منشورات مخبر اللسانيات التداولية وتحليل الخطاب ، جامعة الأغواط ، الجزائر ، ط1، 2013

– **محمود طلحة** : تداولية الخطاب السّردي – دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط-1، 2012

– **محمود عكاشة** : النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) ، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ،ط1، 2013

– **محمود عكاشة** : تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة – دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم – دار النشر للجامعات ، القاهرة ، ط1 ، 2014

– **محمود عكاشة** : لغة الخطاب السياسي –دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال –مطابع للنشر والتوزيع ، القاهرة

– **مصطفى العرافي** : بلاغة النص الشعري ، مقاربة تداولية حجاجية لبلاغة حازم ، دار الراية للنشر والتوزيع ، عمان ، ط 1 ، 2014

– **مسعود صحراوي** : التداولية عند العلماء العرب : دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار التنوير للنشر والتوزيع ، ط1، 2008، الجزائر

– **نعمان بوقرة** :لسانيات الخطاب – مباحث في التأسيس والإجراء – دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2012

– **نعمان بوقرة** :محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، منشورات جامعة باجي مختار ، عنابة ، الجزائر، 2006

– **نور الدين اجعيط**:تداوليات الخطاب السياسي ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ،إربد ، الأردن ، ط1،2012

– صابر الحباشة : التداولية والحجاج – مداخل ونصوص – صفحات للدراسات والنشر ، دمشق ، سورية ، ط1 2008 .

– **عمر بلخير** : مقالات في التداولية والخطاب ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر

– **عمر بلخير** : تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ،ط2، 2015

- **عبدالجليل مرتاض** : لسانيات النص التحليلية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط1 2013

– **عبد الهادي بن ظافر الشهري** : استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – دار الكتب الجديدة المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2004

– **عبد الواسع الحميري** : ما الخطاب وكيف نحلّله ، مجد المؤسّسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ،ط2، 2014

– **فاطمة النشيدي** : المعنى خارج النص – أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب – دار نينوى للنشر والتوزيع والنشر ، دمشق ،2011

– **قدامة بن جعفر** : نقد النثر ، تحقيق عبد الحميد العبادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان 1982

– **قدامة بن جعفر** : نقد الشعر ، تحقيق وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان

– **قالط بن حجي العنزي** ، التداولية في التفكير البلاغي – دراسة في غرر البلاغة لهلال بن محسن الصابئ – عالم الكتب الحديث ، الأردن، ط1، 2014

3–المراجع المترجمة:

– **الجيلالي دلاش** : مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ترجمة محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1992

– **جورج يول** : التداولية ، تر: قصي العتابي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان ، ط1 ، 2010

– **دومنيك مانغنو** : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، تر : محمد يحياتن ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1، 2008

4–المجلات والدوريات:

– **باديس لهويمل** :التداولية والبلاغة العربية ، مجلة المخبر : أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر ،بسكرة ، الجزائر ، العدد7 ، 2011

– **حمدي منصور جودي** : أثر البنيوية والتداولية في توجيه النقد الأدبي ، مجلة مخبر اللسانيات واللغة العربية ، جامعة بسكرة ، الجزائر ، ع2، 2014

– **محمد الأخضر صبيحي** : اللسانيات التداولية وأثرها في تعليمية اللغات ، مجلة منتدى الأستاذ، المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة ، الجزائر ،ع3 2007

– **محمد بن شماني** : الإشاريات والافتراض المسبق –نظرة تداولية– مجلة مطارحات في اللغة والأدب ، المركز الجامعي غليزان ، الجزائر ، ع1، 2009

– **عبد الحكيم سحالية** : التداولية ، مجلة المخبر : أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر ،بسكرة ، الجزائر ،العدد5 ، 2009

– **عبد الحليم بن عيسى** : المرجعية اللغوية في اللسانيات التداولية ، مجلة دراسات أدبية ، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعلمية ، الجزائر ، ع1، 2008

–**عبد الحميد السيد** : التراكيب النحوية من الوجهة التداولية ، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات ، المجلد السادس عشر ، ع2، الأردن ،20002

– **عبد الجليل هنوش** : ابن طباطبا والتصور التداولي للشعر ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ، ع 21 ،2001

– **عبد القادر عواد** : آليات التداولية في الخطاب ، الخطاب الأدبي أنموذجا ، مجلة علامات ، النادي الأدبي بجدة ، ج74، مج 19، 2011

– **عماد عبد اللطيف** : تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية ، مجلة فصول دراسات نقدية ، الالهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2013/2012 ،العدد84/83

– **فاروق مغربي** : الأسس النقدية في كتاب الشعر العربي المعاصر / قضاياه وظواهره الفنية للدكتور عز الدين إسماعيل ، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها ، ع 7 ، 2001

– **يسمينه عبد السلام** : نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين ، مجلة المخبر : أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر ،بسكرة ، الجزائر ،العدد10 ، 2014

5–الملتقيات العلمية:

– **نعيمة سعدية** :تحليل الخطاب والإجراء العربي –قراءة في القراءة– أشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب ، جامعة ورقلة، الجزائر

– **عليمة قادري** : التداولية وصيغ الخطاب من اللغة إلى الفعل التواصلي ، الملتقى الدولي الخامس السيمياء والنص الأدبي ،15–17نوفمبر2008، جامعة بسكرة ، الجزائر

6-الرسائل الجامعية:

– خديجة محفوظي : بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي ، مذكرة ماجستير ، قسم اللغة العربية ،كلية الآداب واللغات ، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر ، 2007/2006

– ظريفة ياسة : الوظائف التداولية في المسرح ، مسرحية صاحب الجلالة لتوفيق الحكيم أنموذجا ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة والأدب العربي ، جامعة قسنطينة، الجزائر ، 2010/2009

– منى بدري: تداولية الخطاب الأدبي لـ: دومنيك مانغينو –دراسة وترجمة– ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ،قسم اللغة العربية وآدابها ،جامعة الجزائر ،2008/2007

– مؤيد عبيد آل صوينت : الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي ، أطروحة دكتوراه ، قسم اللغة العربية، كلية الآداب ،الجامعة المستنصرية ، العراق ،2009

– عائشة عويسات : تواصلية الأسلوب في روميات أبي فراس الحمداني ، مذكرة ماجستير ، قسم اللغة والأدب العربي ، جامعة ورقلة ، الجزائر ، 2010/2009

– عبد الرحمن بشلاغم: تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي :تفسير فخر الدين الرازي لسورة المؤمنون أنموذجا ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة والأدب العربي ، جامعة تلمسان ، الجزائر ، 2014/2013

– علي بن عتيق بن علي المالكي : مفهوم الشعر عند غازي القصيبي ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في النقد الأدبي ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 2004 م

– عمار لعويجي : تداولية الخطاب الشعري ديوان أبي فراس الحمداني أنموذجا ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة باتنة، الجزائر، 2012/2011

– سارة قطاف : الخطاب السردي في كليلة ودمنة لابن المقفع – مقاربة تداولية – مذكرة ماجستير ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب واللغات ، جامعة باتنة ، الجزائر، 20130/2012

– سامية شودار : الخطاب الشعري في أطلس المعجزات لصالح خرفي – دراسة تداولية– مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم الأدب العربي ، جامعة بسكرة ، الجزائر

– قدور عمران : البعد التداولي في الخطاب القرآني الموجه لبني إسرائيل ، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب واللغات ، جامعة الجزائر.

7- مواقع الأنترنت:

- **عبد الرحمن تبرماسين** :اللغة الشعرية في رواية ذاكرة الجسد،من الموقع الإلكتروني:
univ-biskra.dz/lab/Labreception/images/.../doc.../dakiret_el-jassed.pdf
- **عبد الغني حسني** : التواصل ولغة الشعر ، من الموقع الإلكتروني :
http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=24263

8- المراجع الأجنبية:

DESSAUSSURE,ferdinand,coursdelinguistiquegénérale,DalilaMorsly,E,N,R,G,éditions,Alger1990p34.

Gerge Yule :pragmatics, oxford university press , first published , 1996 , p 9.

فهرس الموضوعات

إهداء

شكر وعرفان

مقدّمة..... أ

مدخل : الشعر والتواصل -01

13

الفصل الأول : التداولية وتحليل الخطاب الشعري 14

مفهوم التداولية ونشأتها..... 15

التداولية مصطلحا..... 15

التداولية في المعجم العربي 15

التداولية في المعجم الغربي..... 17

التداولية مفهوما 21

نشأة التداولية 28

التداخل المفهومي بين التداولية وتحليل الخطاب..... 38

مصطلح الخطاب..... 39

مصطلح التحليل 44

الملفوظ والتلفظ..... 45

تداولية النص الشعري 56

الفصل الثاني : الإشاريات في ديوان "براءة " لعثمان لوصيف 62
مفهوم الإشاريات..... 63
أنواع الإشاريات..... 66
الإشاريات الشخصية..... 66

الإشاريات الزمانية 86
الاشاريات المكانية..... 92
الإشاريات الخطابية..... 96
الإشاريات الاجتماعية..... 99

الفصل الثالث : البنية الحجاجية في ديوان " براءة " لعثمان لوصيف 103
تداولية التركيب النحوي في ديوان (براءة) 104
العناية بالمستوى التداولي في التركيب..... 105
الزيادة في التركيب بالوصف..... 106
المبالغة في عرض الحال 107
بناء التركيب بحسب العمليات الذهنية للمتكلم..... 108
القوى الإنجازية في التراكيب النحوية..... 110
تداولية التركيب البلاغي 114
القيم التداولية في استعارات الديوان 116

الملخص باللغة العربية :

تداولية الخطاب الشعري في شعر عثمان لوصيف

ديوان "براءة " أنموذجا:

تتناول هذه الدراسة تداولية الخطاب الشعري في ديوان " براءة " للشاعر " عثمان لوصيف من خلال تتبع أهم الأبعاد التداولية (الإشاريات – تداولية التراكيب النحوية والبلاغية) في المدوّنة ، وقد تناولت الدراسة في البداية الشعر والتواصل انطلاقا من أن الشعر ليس بعيدا عن الاتصال فكل خطاب شعري يعني تواصلا بين المبدع والمتلقي ، ثم عرّجت بالوقوف على أهم المصطلحات الأساسية في التداولية وتحليل الخطاب ، وتلمس الآليات الإجرائية التي أفرزتها اللسانيات التداولية .

كما اهتم البحث في فصله الثاني والثالث بالجانب التطبيقي مستعرضا أهم الآليات اللغوية والبلاغية واستراتيجيات الخطاب التي وظفها الشاعر في خطاباته وما تحمله من قوة إقناعية تخاطبية تواصلية رغبة في الوصول إلى وجدان المتلقي .

الكلمات المفتاحية : التداولية – الخطاب الشعري – النص – تحليل الخطاب – الإشاريات.

Résumé de la Recherche:

La pragmatique de discurs boétique dans le poeme de othman locif. Diwan "Baraat" un modèle . "

–cette étude aborde la pragmatique de discours poétique dans le diwan " Baraat " du poète "othman locif" en suivant les dimensions pragmatique les plus importantes(les déictiques ,la pragmatique des structures grammaticales et rhétoriques) dans le poème.

Au début ,cette étude a abordé le poème et la communication a partir de se que le poème n'est pas loin de la communication .chaque discours poétique désigne qu'il ya un contact entre le créateur et le destinataire .puis elle a passé pour mettre l'accent sur les termes principales las plus importantes dans la pragmatique et l'analyse de discours.

Elle implique aussi mécanismes et les procédures issues de la pragmatique

Cet exposé s est intéressé dans la deuxième et le troisième chapitre par le colé pratique en exposant les mécanisme linguistiques, rhétoriques et les stratèges de discours les plus que

Le poète a employé dans ses discours et la fors persuasive , discursive et communicatives qu'elles portent en visant de toucher au cœur .

Les mots clés :

La pragmatique–le discours poétique–le texte– l'analyse de discours–les déictiques.

ABSTRACT

This study tocles the successive poetic discourse in in the collection of " Baraat " for " **othman locif** " through following main successive dimensions of qestures and the pragmatics of the rhetoric and grammor in the script .

The study started with poetry and communication since they are closest . Any poem is a communicative discourse between the poet and audience .then we shifted to prinseple voccabulary for the pragmatics and discourse analysis and studying the procedural mecha nisms resulted from successive phonology .

The project gave importance to the practical side , in its second and third chapters by showing important language rhetorical mechanisms and discourse strategies applied by the poet in his discourse , and to what extent it is communicative and pessusive aiming at touching the listener,s feelings and emotions.

Key words :

Pragmatics – poetic discourse – the text – discourse analysis – deistcs .